عِصْمَةُ النَّبِيِّ محمدٍ ﷺ عن الكفر قبلَ النُّبُوَّة

د. محمد أحمد محمد ملكاوي *

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٠/٤/١٥م تاريخ قبول البحث: ٢٠١٠/١٢/١٤م

ملخص

يتلخص هذا البحثُ في أنّ محمداً ﷺ معصومٌ قبلَ الله عن الكفرِ والشِّرْكِ بجميعِ مظاهرِه قبْلَ النّبُوّةِ, فالمرادُ بأنّه كان على دِينِ قومِه أيْ أنّه كان على عادتهم وشأنهم في الأخلاقِ الحميدة: كالكَرَمِ والشّجاعةِ والمُروءةِ وصِلةِ الرّحِمِ, وإغاثةِ المَلْهوفِ, وغيرِها من الأخلاقِ الفاضلة, وكان أيضاً على دِينِ قومِه بما بقيَ فيهم منْ إرْثِ إبراهيمَ عليه السلام: كالحَجِّ, والنِّكاحِ والميراثِ, وغيرِ ذلك منْ أحكامِ الإيمان, فقد كان اللهُ تعالى يُرَبِّيه قَبْلَ النُّبُوّة, ويَصْنَعُهُ على عَيْنِه, ويتولّاه بحِفْظِه وعنايتِه منْذُ طفولتِه, ويُعِدُّهُ ليكونَ نبيّاً بشيراً ونذيراً للعالمين. ﷺ تسليماً كثيراً.

Abstract

It is the most dangerous dogmatic misbelieve by a Moslem that Prophet Muhammad – peace upon him – believed in his people's religion regarding the worshipping of idol's. It is important to correct this misbelieve because it goes against the concept of the prophetic impeccability. In this research, it is proved that Muhammad – peace upon him – was protected by Allah before prophet hood from being involved in any degrees of infidelity or polytheism. Then, what is meant by Muhammad was on his people's religion that Muhammad – peace upon him – had followed what concerned good morality like magnanimity, generosity, helping people in their needs and other good morals. Also, Muhammad was on his people religion means that he was following what they inherited from Ibraheem's creed like Alhajj, Marriage, inheritance and other religious principles. So, Allah had protected and instructed Muhammad – peace upon him – before prophet hood, and Allah had taken him from his childhood in His protection and care to prepare him to be a prophet who presages humans in this world.

تمهيد:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ رسولِ الله وعلى آله وصحبه ومن والاه, وبعد:

فإنّ مِنْ جَمالِ اللغةِ العربيةِ أنّ الكلمةَ فيها قد يكونُ لها أكثرُ من معنى, بعضها لغويّ وبعضها الآخَر اصطلاحيّ, وقد استعمل العربُ مفرداتِ لغتهم بجميع معانيها الموضوعة لها, وإنّ مَنْ لا ينتبه إلى ذلك قد يقع في الخطأ الفاحشِ المتعلّقِ بفهمِ المعنى المرادِ من الكلمة, ويزداد الخطأ فداحةً وفحشاً إذا كان يتعلّق بمسائل العقيدة التي هي مدار النجاة في الآخرة, ولكنْ إذا كان الخطأُ متعلّقاً بعصمة النبيِّ ﷺ فيصير الأمرُ أعظمَ مِنْ أنْ يوصف بالفُحشِ والفداحة, إذْ ربما يؤدّي إلى الكفر الذي ما أُرسلَ الأنبياءُ إلاّ لنهْيِ الناسِ عن الوقوعِ فيه بجميعِ أنواعِه, ذلك أنّ الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر.

مشكلة الدراسة:

يظنُّ بعضُ الناسِ أنّ العصمةَ الخاصّةَ بالرسول ﷺ هي فقط بعد البعثة, وأمّا في حياته قبْلَها فكان على دينِ قومِه يعبدُ الأصنامَ مثلهم, وهذا الظنُّ يتناقضُ مع الصحيح مِن السنّة والسيرةِ النبويةِ الصحيحة, وهذا البحثُ سيسهمُ في حلِّ هذه الإشكاليةِ وتوضيحها, إذْ إنّ السبب المباشرَ الذي دعاني لكتابة هذا البحث, تلك العبارة التي كُتِبَتْ في السطر الثاني من الصفحة ٧٨٧ في الفصل الأول من الباب الثاني والعشرين من الجزء الثالث من كتاب: **[موسوعة الأديان]** تحت عنوان: الإسلام,

* أستاذ مشارك، كلية الشريعة، جامعة اليرموك.

وأنقل العبارةَ بلفظها إذْ تقول: "وكان محمدٌ على دينِ قومِه يعبدُ الأصنامَ لكنّه شديدُ الإحساسِ, يغلبُ عليه صَمْتُ الحُكماء"(1).

وهذه العبارة تتنافى مع القول بعصمة النبيِّ ﷺ, وتناقضُ مَا دوّنه كُتّابُ السيرةِ والسنّةِ النبويةِ الصحيحةِ, ولا يجُوزُ صدُورُها مِنْ مُسلمٍ, فَضْلاً عن إقْرارِ العبارةِ بتدوينها وطباعتِها في كتابٍ معتبَرٍ بعنوان: [موسوعة الأديان], وأعتقد أنّ الذي أَوْقَعَ الكاتبَ في هذا الالتباسِ أَحَدُ أمور ثلاثة:

1. إمّا عَدَمُ درايتِه بمفهومِ العصمةِ النبوية, ولم يطّلع على ما كتبه علماؤنا في هذا الخصوص؛ فظنّ أنّ عبادة الأصنام قبْل النُّبوّة لا تنافي العصمة.
2. وإمّا عَدَمُ اطّلاعه على المعاني اللغوية لكلمة دِين الموضَّحة في المعاجم المختصّة؛ ففسّر تفسيراً اجتهادياً كلمةَ دين بالمِلّة والاعتقاد, أيْ بمعناها الاصطلاحيّ.
3. وإمّا عَدَمُ عِلْمِه بالسيرة النبوية قبْل البعثة, فكتب ما كتب نقلاً عن كتب المستشرقين بغير تمحيص؛ واتّباعاً لرأيهم؛ لإحْسانه الظنَّ بهم, واعتقادِه نزاهةَ بحوثهم, وسلامتَها عن الهوى.

وهذا الأمرُ الأخيرُ هو ما ترجّح عندي, وتحققتُ منه بعد استعراضي الموسوعةَ المذكورةَ؛ إذْ إنني لاحظتُ كثيراً اعتمادَ كاتبها على آراء المستشرقين, ومعظمُهم ينظرون إلى الأنبياء بالمنظور التوراتي؛ فالتوراة المحرّفة تَنْسِبُ إلى الأنبياء جميعَ أنواع الكبائر, وما فيها الشِّرْكُ بالله وعبادةُ الأوثان؛ فجاء هذا البحثُ لتحقيق الأهداف الآتية:

أوّلاً: نَقْدُ وتصويبُ خطأٍ علْميٍّ في مجال عصمة النبيِّ محمدٍ ﷺ, إذْ يجبُ على المختصّين تبرئةُ نبيّنا ﷺ من هذا الخطأ الاعتقادي.
ثانياً: الإسهامُ في إظهارِ الصورةِ الصحيحةِ ولحقيقيةِ لحياةِ نبيّنا محمدٍ ﷺ قبْل النبوّة.
ثالثاً: بيانُ ضرورةِ الرجوعِ إلى المصادرِ الصحيحةِ المعتمدةِ عند أهلِ السنّةِ في قضايا العقيدةِ, والاعتمادِ على الرواياتِ المقبولةِ منها.

ومنْ أجْلِ الوصولِ إلى هذه الأهدافِ؛ فقد قسمتُ البحث إلى ثلاثة مطالب وخاتمة, كما يأتي:

المطلب الأول: مفهوم كلمتيْ الدِّين والعصمة بين المسلمين والمستشرقين.

المطلب الثاني: نماذج من عصمة نبيِّنا محمد ﷺ في حياته قبْل النّبوّة.

المطلب الثالث: الدليل العقلي على عصمة نبيّنا محمد ﷺ قبل النبوّة.

الخاتمة: وقد بيّنتُ فيها أهمَّ النتائج التي توصّلتُ إليها من هذا البحث, والتوصيات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المطلب الأول
مفهوم كلمتي الدِّين والعصمة بين المسلمين والمستشرقين

الفرع الأول: العصمة:

أوّلاً: المعنى اللغويّ:

العِصْمةُ في كلام العرب: المَنْعُ والمَنَعَةُ, والعاصِمُ: المانعُ الحامي, عَصَمَهُ يَعْصِمُهُ عَصْماً: مَنَعَهُ ووقَاهُ, عَصَمَهُ الطعامُ: مَنَعَهُ من الجُوع, والاسْمُ العِصْمَةُ: الحِفْظُ, واعْتَصَمَ بالله: امْتَنَعَ بلُطْفِه من المَعْصيةِ, وعِصْمَةُ اللهِ عَبْدَهُ: أنْ يَعْصِمَه ممّا يُوبِقُه(2).

ثانياً: التعريف الاصطلاحي:

ذكر **الأشعريُّ** في مقالاته تعريفاً اصطلاحياً للعِصْمَةِ فقال: "العِصمةُ لُطْفٌ من الله يفعله بالعبدِ فيكون به معتصماً". **ومعنى اللطْف** أنّ اللهَ تعالى لا يفعلُ بالعبادِ كلّهم إلاّ ما هو أصلح لهم في دِينهم, وأدْعى لهم إلى العمل بما أمرهم به, وأنه تعالى لا يدّخرُ عنهم شيئاً يعلم أنهم يحتاجون إليه في أداءِ ما كلّفهم به(3).

وعرّفها **الجرجانيُّ** فقال: "العصمة: مَلَكَةُ اجتنابِ المعاصي مع التمكّنِ منها". **ومعنى المَلَكَة:** الصِّفة الراسخة

في النفْسِ وذلك أنه يحْصلُ للنفْسِ هيئةٌ وكيفيّةٌ نفسانيةٌ بسببِ فعلٍ من الأفعالِ فإذا كانت سريعةَ الزوالِ تسمّى: حالةً, وإذا كانت بطيئةَ الزوالِ ومارستْها النفْسُ حتى رسختْ تسمّى: مَلَكَةً(٤).

وعرّفها **القاموس الإسلامي** بأنها: "مَلَكَةٌ إلهيةٌ تَمنعُ مِنْ فِعل المعصية مع القدرة على إتيانها"(٥).

وجمع **الدُّوريُّ** بين التعريفيْن فقال: "لُطْفٌ من الله تعالى يَحْمِلُ المعصومَ على فعل الخير, ويزجره عن فعل الشَّرِّ, مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء"(٦).

ووفقاً للتعريفات السابقة لا تعني العصمةُ انتفاءَ القُدْرةِ على الفعل, وإنما تعني انتفاءَ الفِعلِ مع بقاءِ القدْرةِ عليه, فالمعصوم لا يأتي بالمعاصي بتوفيق الله إيّاه, والتهيئةِ المسْبَقة لِمَا يتوقّف عليه الامتناع؛ أيْ إنّ الله تعالى يصنعُ النبيَّ على عينه, ويتولاّه برعايته وتوفيقه وهدايته منذُ صغره, وذكر **الأشعريُّ** أنّ هذا هو إجماعُ بعض فرق المسلمين فقال:

"وأجمعت المعتزلة على أنه لا يجوز أنْ يبعث الله نبيّاً يَكْفرُ ويرتكبُ كبيرة, ولا يجوز أنْ يبعث نبيّاً كان كافراً أو فاسقاً"(٧).

ويُفهَم من كلام **القاموس الإسلامي** أنّ هذه العصمة للأنبياء تكون قَبْل النبوّة إذْ يقول:

"أمّا ما لا خلاف حوله فهو أنّ الأنبياءَ بعض البشر اختصهم الله بتبليغ رسالة سماوية لخير مجتمعهم أو لخير الإنسانية جمعاء, وهذا الاختصاص هو الذي تعنيه الآية ١٢٤ من سورة الأنعام بقوله تعالى: ﴿**اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾[الأنعام: ١٢٤], بمعنى أنّ الله تعالى لا يصطفي للنبوّة إلاّ من يعلم أنه صالح لها"(٨).

ويُفهَم ممّا سبق أيضاً أنّ الأنبياء معصومون عن الكفر بجميع أنواعه قبل النبوّة وبعدها, أمّا بالنسبة للعصمة منه بعد النّبُوّة فليس لها تعلّق بموضوع هذا البحث, وأمّا بالنسبة للعصمة منه قبل النّبُوّة, فقد اتفق جمهورُ المسلمين على أنّ كُلَّ واحد من الأنبياء عليهم السلام معصومٌ من الكفر بجميع أنواعه قبْل الوحْيِ والنّبُوّة, ولا يجوز الكفرُ عليهم في حال صِغَرهم تَبَعاً للوالدين؛ لأنهم مؤمنون بالله, وعارفون به حقيقة, فلا يجري عليهم حُكْم الكفر تَبَعاً(٩).

وهذا يدلّنا على أنّ معنى العصمة يتناولُ عصمةَ الأنبياء عن المعاصي الاعتقاديّة والقوليّة والفعليّة والخُلُقيّة؛ لأنّهم لو لم يكونوا معصومين عن ذلك لم يكونوا أهْلاً للاصطفاء بالنبوّة, ولأثّر ذلك في أصْل مهمّة بعثتهم, ولانعدمتْ الثقةُ بما يبلّغونه عن الله مِنْ شرائع وأحكام وأخبار وغيرها, وبناءً عليه فلا يمكن أنْ يَعتقِدَ النبيُّ عقيدةً كافرة, ولا أنْ يقول قولاً أوْ يفعل فعْلاً يؤدّي إلى الكفر؛ لوجوبِ عصمةِ قلْبه ولسانه وقالَبه كُلِّه عن الزيغ في العقيدة والقول والعمل, وإلاّ لا يَصْطَفِيه اللهُ تعالى للنبوّة, وبهذا المعنى صرّح **القاضي عياض** فقال:

"وأمّا عِصمتُهم مِنْ هذا الفنِّ قبْل النّبُوّة فللنّاسِ فيه خلافٌ, والصّوابُ أنّهم معصومون قبْل النّبُوّة مِنَ الجَهْلِ بالله وصفاته والتشكّكِ في شيءٍ من ذلك, وقد تعاضدت الأخبارُ والآثارُ عن الأنبياءِ بتنزيههم عن هذه النَّقيصة منْذُ وُلِدوا, ونشأتهم على التوحيدِ والإيمانِ.. ولمْ يَنقلْ أحدٌ مِنْ أهلِ الأخبارِ أنّ أحداً نُبِّئَ واصْطُفِيَ مِمّنْ عُرِفَ بكفرٍ وإشراكٍ قبْلَ ذلك"(١٠).

كما صرّح به **عضد الدين الإيجيّ** فقال: "فأمّا الكفر فأجمعت الأمّة على عصمتهم منه"(١١).

وأكّدَ أيضاً هذه الحقيقةَ العلاّمةُ **السعدُ التفتازانيُّ** فقال: "إنّهم معصومون عن الكفر قبْلَ الوحْي وبعده بالإجماع, وكذا عن تعمّد الكبائر عند الجمهور"(١٢).

وذكر **أبو عذبة** كلاماً طويلاً عن عصمة الأنبياء أكتفي منه بقوله:

"وأمّا قبْلَ الوحْي فالأكثرون منعوا الكفر, والحقُّ أنهم معصومون قبْله صيانةً لمنصب النّبُوّة, وحمايةً لإقامة الرسالة؛ ألا ترى قوله تعالى حكايةً عن نبيّنا ﷺ: **﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾** [يونس: ١٦]"(١٣).

الفرع الثاني: المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة دين:

أولاً: المعنى اللغويّ لكلمة دين:

الدال والياء والنون أصل واحد إليه ترجع فروعُه كلُّها، وهو جِنْس من الانقياد والذُّل، وتتردد كلمة دين في المعاجم اللغويّة بعدد من المعاني أُجْمِلُها في ثلاثة كما يلي(١٤):

المعنى الأول: الدِّينُ الطاعةُ والخضوعُ والانقيادُ والذّلّ: يقال: دانَ لهُ يَدِينُ دِيناً، إذا انقادَ وأطاعَ، وقومٌ دِينٌ: أي مطيعون منقادون، قال الشاعر: وكانَ النّاسُ إلاّ نَحْنُ دِينَا. والمَدينة: كأنها مَفْعَلَة، سُمِّيتْ بذلك لأنها تُقام فيها طاعةُ ذَوي الأَمْر، والمَدينة: الأَمَة، والعَبْدُ مَدِينٌ؛ لأنهما أَذلّهما العمل. ودَانَهُ دِيناً: أي أذَلَّهُ واستعبده، يقال: دِنْتُهُ فدانَ، قال الأعشى: هو دانَ الرِّبابَ إذْ كَرِهوا الدِّينَ, يعني أذلَّ الرِّبابَ وقهرها فذلّتْ له وأطاعته، والدِّينُ لله: إنما هو طاعتُه والتعبُّدُ لهُ والتذلّلُ إليه. وكان النبيُّ ﷺ يريدُ من قريشٍ كلمةً تَدِينُ لهم بها العربُ؛ أي تطيعُهم جميعُ العربِ وتَخضعُ لهم.

المعنى الثاني: الدِّين الجزاءُ والحسابُ والمكافأة: يقال: دانه دِيناً أي جازاه، ويقال: كما تَدِينُ تُدانُ، أي: كما تُجازِي تُجازَى بفعلكَ وبحسب ما عملتَ، وقول الشاعر: واعلمْ بأنَّك ما تَدينُ تُدانُ معناه أنّك تُجزَى بما عملت. ويومُ الدِّين: يومُ الجزاء، وقوله تعالى: ﴿أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾[الصافات: ٥٣], أي: مجزيّون محاسبون، ومنه: الدَّيّانُ, اسمٌ من أسماء الله ﷻ، معناه: الحَكَمُ القاضي القهّار, قال الشاعر: ولا أنت ديّاني فتَخْزوني: أي لستَ بقاهرٍ فتسوسَ أمري، وقال الأعشى الحرمازي يخاطبُ رسولَ الله ﷺ: يا سيّدَ الناسِ وديّانَ العرب.

المعنى الثالث: الدِّينُ العادةُ والشأنُ والسِّيرةُ والطريقةُ: يقالُ للعادةِ دِينٌ؛ لأنّ النفسَ إذا اعتادتْ شيئاً ومَرَنتْ عليه، هان عليها وانقادتْ لهُ، فيُقال فيه: ما زال ذلك دِيني ودَيْدني؛ أيْ عادتي وشأني، وفي ذِكْرِ سيرة حياة النبيِّ ﷺ قبلَ البعثة أنه ﷺ: **كان على دين قومه**، أيْ: على عادتهم وشأنهم في الأخلاق الحميدة، كالنخوة, والكرم, وصلة الرحم, وإغاثة الملهوف وإكرام الجار, وغيرها من الأخلاق الفاضلة.

ويوضح ذلك قولُ **ابن سعد**: "وشبَّ رسولُ الله ﷺ مع أبي طالب يكلؤه اللهُ ويحفظُه ويحوطُه من أمور الجاهلية ومعايبها؛ لمَا يريد به من كرامته، **وهو على دين قومه** حتى بلغ أنْ كان رجلاً أفضلَ قومِه مروءةً, وأحسنَهم خُلُقاً، وأكرمَهم مخالطةً, وأحسنَهم جواراً, وأعظمَهم حِلْماً وأمانةً, وأصدقَهم حديثاً, وأبعدَهم من الفحش والأذى, ما رُؤِيَ مُلاحياً ولا مُمارياً أحداً, حتى سمّاه قومُه الأمينَ؛ لما جمع اللهُ فيه من الأمور الصالحة"(١٥).

ثانياً: المعنى الاصطلاحيّ لكلمة دين:

عرّف **الجرجانيُّ** الدِّينَ اصطلاحاً بأنه: "وضْعٌ إلهيٌّ يدعو أصحابَ العقولِ إلى قَبول ما هو عند الرسول ﷺ، والدِّينُ والملّةُ متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار؛ فإنّ الشريعة من حيث إنّها تطاع تسمّى ديناً, ومن حيث أنها تجمع تسمّى ملة ... والدِّين منسوبٌ إلى الله تعالى, والملّة منسوبةٌ إلى الرسول"(١٦).

ويوضح ذلك قولُه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: ١٦١], وقولُه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾[الحج: ٧٨], فهاتان الآيتان ذكرتا أنّ الدِّين القيم الخالي من الحرج هو ملّة إبراهيم عليه السلام.

وعرّف **القاموس الإسلامي** الدِّينَ بقوله: "وضْعٌ إلهيٌّ يدعو ذوي العقول باختيارهم إلى ما فيه صلاحُهم في الحال وفلاحُهم في المستقبل"(١٧).

وقد توسّع **ابنُ عاشور** في شرح المعنى الاصطلاحي لكلمة الدِّين, وأقتطفنا منه ما يأتي:

الدِّينُ: الملّةُ والشريعةُ، وهي مجموع عقائد وأعمال يلتزمها طائفةٌ من الناس يتّفقون عليها، وتكون جامعةً لهم كطريقة يتبعونها، وسُمِّيتْ الشريعةُ ملّةً؛ لأنّ الرسولَ أو واضعَ الدِّينِ يُعلّمُها للناس ويُمَلِّلُها عليهم، كما سُمِّيتْ

دِيناً باعتبار قَبول الأُمّة لها وطاعتهم وانقيادهم, فصار الدِّينُ حقيقةً عُرْفية يطلَق على مجموع عقائد وأعمال يلقّنها رسولٌ من عند الله، ويَعِدُ العاملين بها بالنعيم، والمُعرِضين عنها بالعقاب,ثم أُطلق على ما يُشْبِهُ ذلك مما يضعُه بعضُ زعماء الناس من تلقاء عقله، فتلتزمه طائفةٌ من الناس, والمِلّةُ:مرادفةُ الدِّين(١٨).

ومِنْ هذا التعريف الاصطلاحي للدِّين تظهر صِلَتُه القريبةُ بالشريعة والمِلّة والاعتقاد وكلِّ ما يُتَدَيَّنُ به,وأنّ لفظَيْ المِلّة والدِّين اصطلاحاً يَرِدان مترادفيْن بمعنىً واحد, فالدِّينُ :المِلّةُ والشريعةُ، والجمْعُ: الأديان والمِلَل، يقال: دانَ بكذا دِيانةً وتَدَيَّنَ به:أي اتّخذه دِيناً ومِلّةً له، فهو دَيِّنٌ ومُتَدَيِّنٌ، والدِّين الحقُّ هو جُمْلَةُ ما جاء به الرُّسُل؛ أيْ هو المِلل المشتملة على الاعتقادات والشرائع التي أَمَرَ اللهُ تعالى أنْ يُتَدَيَّنَ بها؛ ومنه: لا يتوارث أهلُ مِلَّتَيْن, والمقصود أهل دِينيْن,كمِلّة الإسلام والنصرانية واليهودية, فالدِّينُ في حقيقته العُرْفيّة والاصطلاحيّة يُطْلَق على ما يُتَدَيَّنُ به حقّاً كان أو باطلاً, ولذلك يُطْلَق لفظ دِين على مجموع الاعتقادات والشرائع الوضعية التي يضعها الزعماءُ لأتْباعهم من تلقاء عقولهم، فيلتزمها أتْباعُهم وينقادون لها, وقد أَمَرَ اللهُ تعالى نبيَّنا محمداً ﷺ أنْ يُعْلِنَ لقومه العرب المشركين بقوله: **﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾** [الكافرون: ٦], وواضحٌ أنّ المراد بلفظَيْ دِين في الآية الكريمة هو المعنى الاصطلاحيّ؛ أيْ المِلّة والاعتقاد.

قال **البخاريُّ**: لكم دِينكم: الكفر ولي دِين: الإسلام"(١٩).

وقال **الزمخشري**: لكم "شِرْكُكم وليَ توحيدي"(٢٠).

وقال **القرطبيُّ**: وسُمِّي دِينَهم دِيناً؛ لأنّهم اعتقدوه وتَوَلَّوه"(٢١).

أمّا المعنيان اللغويان الأول والثاني لكلمة دِينُ [الطاعةُ والخضوعُ والانقيادُ والجزاءُ والحسابُ والمكافأة], فلا يمكن تفسير النّص **"دِين قومِه"** بهما؛ لنفور السياق وعدم الانسجام اللغوي هنا, أيْ لا يمْكِنُ التفسير بأنّه ﷺ كان على دِين قومه بمعنى أنّه كان على طاعة قومه وخضوعهم,ولا أنّه كان على جزاء قومه ومكافأتهم.

وأمّا المعنى الاصطلاحي [الملّة والاعتقاد],فيستحيلُ قطعاً تفسيرُ النصِّ به؛ لما سيأتي في المطلبين الثاني والثالث, فلم يبْقَ إلاّ أنْ يُفهَمَ لفظُ الدِّين الوارد في النصِّ **بالمعنى اللغوي الثالث الذي هو:العادةُ والشأنُ والطريقةُ والسيرة**, فقد وُلِدَ محمدٌ ﷺ وعاشَ في المجتمع القرشيِّ, فتربّى على قيَمهم وأخلاقهم العربية الحميدة, وعلى ما بقيَ فيهم من إرْثِ جَدَّيْهم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وذكر **ابنُ منظور** أنّ النبيَّ ﷺ بعث ابنَ مِرْبَعٍ الأنصاريّ إلى أهل عرفة يقول لهم: اثبتوا على مشاعركم هذه, فإنكم على إرْثٍ مِنْ إرْثِ إبراهيم عليه السلام, وقال: "وقوله في الحديث أنّه عليه السلام كان على دين قومه؛ قال **ابن الأثير**: ليس المراد به الشِّرْك الذي كانوا عليه,وإنما أراد أنّه كان على ما بقي فيهم من إرث إبراهيم عليه السلام من الحَجِّ والنكاح والميراث وغير ذلك من أحكام الإيمان, وقيل: هو من الدِّين: العادة؛ يريد به أخلاقهم من الكرم والشجاعة وغير ذلك"(٢٢).

وقال **الفيروزآبادي**: "وفي الحديث: **كان النبيُّ ﷺ على دِين قومه**, أي: على ما بقيَ فيهم من إرْثِ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في حَجِّهم ومُناكَحاتهم وبُيوعِهم وأساليبهم,وأمّا التوحيدُ فإنّهم كانوا قد بدّلوه,والنبيُّ ﷺ لمْ يكنْ إلاّ عليه"(٢٣).

وواضحٌ أنّ **ابن منظور والفيروزآبادي** فسّرا الكلمة **[دِين]** هنا بمعناها اللغويّ الذي أجمع عليه علماءُ الدِّين واللغة, أيْ **طريقةُ قومِه الصحيحةُ الموروثةُ عن ملّةِ أبيهم إبراهيم عليه السلام**.

وأنكر **ابنُ رجب الحنبليُّ**(٢٤) أنْ يكون نبيُّنا ﷺ قبْل البعثة على دين قومه بالمعنى الاصطلاحيّ؛ أيْ على ملّتهم,واستدلّ بكلام للإمام أحمد سيأتي ذِكْرُه, وتابعه **السفارينيُّ** فاستدلّ بقوله وبقول **ابن عقيل والتفتازاني**:

لمْ يكنْ ﷺ على دِينٍ سوى الإسلام، ولا كان على دِينِ قومِه قط، بل وُلِد نبيًّا مؤمناً صالحاً على ما كتبه الله وعلِمه من حاله"[٢٥].

ويُفْهَم من كلام هؤلاء الأعلام أنّ النبيّ ﷺ معصومٌ من أوّل طفولته؛ لأنه قد وُلِد على الإسلام، فحفظه الله تعالى قبل أنْ يبلغ الحلُم، فلم يعبد الأصنام، ولم يلتفتْ إليها.

ولأجْل هذا المعنى جعل **ابنُ الجوزي** البابَ الأربعين من كتابه **[الوَفا]** بعنوان **في ذِكْر ما كان رسولُ الله ﷺ يَتعبّدُ به قبْل النّبُوّة**، وافتتح كلامه بما يأتي:

كان رسولُ الله ﷺ في زمن الصِّبا يبْغضُ الأصنامَ ولا يلتفتُ إليها، وكان أهلُه يسألونه أنْ يَخرُجَ معهم إلى ناحيتها فلا يفعل، ولا يقرب منها، ويعيبها"، واستشهد **ابنُ الجوزي** بحديث أُمٍّ أيمن عن **صنم بُوانةَ** الآتي ذِكْرُه في المطلب الثاني[٢٦].

الفرع الثالث: مفهوم المستشرقين للدِّين وموقفهم من عصمة الأنبياء:

أوّلاً: مفهوم المستشرقين للدِّين:

سبقَ بيانُ أنّ لفْظ **الدّين** في الاصطلاح الشرعيِّ يدلّ على **التسليم والاستسلام لله تعالى وحده، وعبادته بما شرعه على لسان أنبيائه** من العقائد والأحكام والآداب وكلِّ شؤون المعاش، فهو منهجٌ للحياة، وهو ملّةُ الإسلام، ودينُ جميع الأنبياء والمرسلين، وهو يختلف عن الفلسفة مِنْ حيث إنها عملٌ إنسانيٌّ يعتريه ما في طبيعة الإنسان من نقصٍ وقابليةٍ للتغييرِ والتقلّبِ بين الهدى والضلال.

ويختلف أيضاً عن مفهوم **الدِّين** في الاصطلاح الغربي؛ إذْ يقوم المنهجُ الغربيُّ وفلسفتُه الماديةُ على إقصاء **الدين** عن مجالات التأثير الاجتماعي؛ لأنه بزعمهم وفي تصوّرِهم **فلسفةٌ** خاصّةٌ بمرحلةٍ زمنيةٍ في حياة الأمم تجاوزها الغربُ بفضل العلْم ومعطياتِ العقل البشري، ويؤكِّدُ مفكّروهم باستمرار على أنّ **الدين يعني فلسفةَ الجمْعِ والربْطِ** أيْ ارتباط جماعةٍ إنسانيةٍ بإلهٍ أو بآلهةٍ، ولا علاقة له بشؤون المعاش، وعلى هذه المعاني الباطلةِ سار التغريبيون من أبناء المسلمين، فاعتبروا **الدِّينَ فلسفةً ونظريةً** من النظريات المتعلّقة بالكائنِ الأعلى وعلاقته بالإنسان وبالعلّةِ الأولى للوجودِ وغايتِه، ونادوا بذلك في أدبياتهم ووسائل إعلامهم، متغافلين عن الفروق الجوهرية بين **معنى الدِّين** في الاصطلاحيْن الإسلامي والغربي[٢٧].

وبما أنّ الدِّين في نظرهم فلسفةٌ ونظريةٌ وضعيّة، فالمستشرقون الغربيون يرَوْن أنّ **مصدر الدين هو الفكرُ الإنسانيُّ والظروفُ البيئيةُ**، ولا علاقة للدِّين بقوّة إلهيّة وراء المادّة يستمدُّ منها الإنسانُ التعليمَ والعقيدةَ، **فالإنسانُ** هو الذي يصوغ الدِّينَ تبعاً لحاجاته وظروفِ بيئته التي يعيش فيها، **والطبيعة** هي التي تهبُ الإنسانَ الملَكةَ الخرافيةَ أو الوظيفةَ الأُسطوريةَ التي بمقتضاها يستطيع الإنسانُ أنْ يخترع شخصياتٍ إلهيةً، وقد عبّر عن هذه النظرة زعيمهم **ماكس ميلر** عندما عرّف الدينَ بأنه: **محاوَلةُ تصوّرِ ما لا يمكنُ تصوّره**"وهو يعبّرُ بذلك عن رأيِ فريقٍ كبيرٍ من علماءِ الاجتماعِ والآثارِ الغربيين الذين يحذفون من بحوثهم فكرةَ الإلهِ الخالقِ، **ويذهبون إلى وجوبِ إبعادِ تعريف الدِّين عن كلِّ ما يتعلّقُ بقضيّةِ الألوهية**[٢٨].

وقد انعكس هذا التصوّرُ الخاطئ على مفهوم المستشرقين للنبوّة، وعلى وظيفةِ النبيِّ، وبناءً عليه **فالنبوّةُ عندهم: هي القدرةُ على التأمّل، ومحاولةُ استكشاف الغيبِ بملَكة الحَدْس**، ولا يوجَدُ حقيقةٌ ثابتةٌ، وإنما كلُّ ما حولنا وهْمٌ وخداعٌ، وهؤلاء الأشخاص أصحابُ الملَكةِ الخاصّةِ القادرون على الحَدْسِ والإلهامِ والكشْفِ هم أفرادٌ قلائل يمثّلون أفذاذَ أقوامهم، وتُحرِّكهم الرغبةُ في قيادة الجماعة، **ويستطيعون أنْ يوحوا بصور شتى للعبادات والمعبودات والتعاليم والوصايا الدينية، انطلاقاً من حاجة الجماعة إليها**[٢٩].

وهي كما ترى أفكار أناسٍ لا يؤمنون بالنبوّات ولا بالوحي السماوي للأنبياء، ولا يؤمنون بدينٍ وضعه اللهُ

ربُّ العالمين,ومن هنا جاء تركيز المستشرقين على **فكرة الوحْيِ النفْسيّ وبشرية القرآن الكريم**, ومعناها عندهم:**أنّ القرآن انطباعٌ في نفس محمد ﷺ**, نشأ عن تأثّره ببيئته التي عاش فيها بمكانها وزمانها وجميعِ مظاهر حياتها الماديةِ والروحيةِ,فجاء هذا القرآنُ – كما يزعمون – تعبيراً عن هذه الحياة بجميع جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية,وإذا كان القرآن تعبيراً عن البيئة التي عاشها محمد ﷺ **فيكون هذا القرآنُ قد انطبع في نفسه أوّلاً, ثمّ عبّر عنه كما يعبِّر الإنسانُ عن المعاني التي تجولُ في نفسه من وحيِ بيئتِه والحياةِ المحيطةِ به, فهو إلْهامٌ داخليٌّ ولمْ يُوحَ إليه من خارجه**[٣٠].

وهذا التحديدُ الغربيُّ لمفهوم الدينِ والتصوّرُ الناقصُ له متأثّرٌ بواقع الصراع بين الكنيسةِ المسيحيةِ التي تمثّلها البابويةُ الحاكمةُ باسْم الإلهوبين الحكوماتِ والدولِ التي يمثّلها أربابُ السلْطةِ من الأمراءِ وأصحابِ الإقطاع,وظهرَ هذا التصوّرُ واضحاً في كتابات المستشرقين والمتأثّرين بهم من أبناء المسلمين؛ إذْ إنهم يحبّون أنْ يُطْلِقوا على دعوةِ محمدٍ ﷺ وجهودِه لنشْرِها اسْمَ: **الزعامة النبوية**؛ لإخراجِها عن نطاق الوحي والرسالةِ الربانيةِ ولجعْلِ خصائص هذه الزعامةِ النبويةِ محصورةً بوقتها الذي عاش فيه النبيُّ ﷺ وقاصرةً على شخصِه لا تتعدّاه إلى مَنْ يَخْلُفه في قومه من بعده[٣١].

ثانياً: موقف المستشرقين من عصمة الأنبياء:

إنّ المستشرقين –يهوداً كانوا أو نصارى– يؤمنون بما في كتب اليهود والتي يُطلق عليها النصارى اسْمَ: **العهد القديم**,وفيها جاء تصوّرُهم للوحْيِ وللنبوات منطلقاً من هذا المفهومِ الناقصِ لوظيفةِ النبيِّ وعصمته؛ **لأنهم ينظرون إلى الأنبياء بالمنظور التوراتي**,أيْ شاركتْ التوراةُ المحرّفةُ والعهدُ القديمُ في إعطاء الغربيين هذه النظرةَ الظلاميّةَ والتصوّرَ الناقصَ للدّين وللنبوات, فقد نسبتْ هذه التوراةُ –توراةُ الأحبار– إلى الأنبياء أعظمَ الفواحش التي قد يتنزّه عنها كثيرون من البشر الذين لم يبلغوا درجة النبوة.

فمثلاً نسبت التوراة إلى **نوح** عليه السلام **السُكْرَ الشديدَ, وأنه لَعَنَ حفيدَه كنعانَ بدون ذَنْب**[سفر التكوين٩/ ٢٠-٢٧], ونسبت إلى **لوط** عليه السلام **الزنا بابنتيْه فحملتا منه بالزنا**[سفر التكوين١٩/ ٣٠-٣٨], ونسبت إلى **يعقوب** عليه السلام **سرقةَ النبوّة من أخيه**[سفر التكوين٢٧/ ١-٤٥], ونسبت إلى **هارون** عليه السلام **صناعةَ العِجْلِ في سيناء**[سفر الخروج٣٢/ ١-٦], ونسبت إلى **داود** عليه السلام **الزنا بجارته وقتْلَ زوجها**[سفر صموئيل الثاني١١/ ١-٢٧], ونسبت إلى **سليمان** عليه السلام **الرّدّةَ في آخر عمره وبناءَ معابد الأوثان**[سفر الملوك الأول١١/ ١-١٣]. وهكذا لم يخلُ نبيٌّ من جريمةٍ بشيعة أو فاحشةٍ شنيعة نُسبتْ إليه.

إنّ أهل الكتاب يعتقدون أنّ الأنبياءَ غيرُ معصومين لا قبْل النبوّة ولا بعدها,وكُتُبُهم المقدسةُ تَرْمي كبارَ الأنبياء بأكبر الفواحش, فصارت هذه العقيدةُ مشجِّعةً على أعظم الشرور والمفاسد الدينيةِ والأخلاقيةِ, والنصارى يؤمنون بهذه الفواحش المنسوبة للأنبياء, ويجعلونها دليلاً على عِصْمةِ المسيح عليه السلام وكَوْنُه إلهاً مخلِّصاً وفادياً لمْ يرتكبْ خطيئةً قطّ,ولكنْ فئةً من علماء الغرب المتنوِّرين انتقدوا الكُتُبَ المقدسةَ وطعنوا في صحّتها,وحذّروا منْ تعليمها أوْ قراءتها,وكُتبتْ في ذلك كُتُبٌ كثيرة جداً, لعلّ منْ أغربها وأكثرها إثارةً كتاب **الدكتور تشارلس وطس بعنوان: أضرار تعليم التوراة والإنجيل**[٣٢].

والعجب أنّ أهل الكتاب الذين ينكرون عصمةَ الأنبياء بعدَ النبوّة,يؤمنون بأنّ **الكنيسةَ المسيحيةَ في جملتها معصومةٌ من الخطأ في أمور الدين,والكاثوليكُ منهم يَرَوْن أنّ العصمة مقصورةٌ على البابا بصفته الرئيس الأعلى للكنيسة في الشؤون الدينية**,دون أنْ يكون لذلك صلةٌ بحياته الخاصّة[٣٣].

فالذي يعتقد أنّ النبيَّ بعد النبوّة يفعلُ أفحشَ الفواحش بما فيها **الرِدّةُ عن الدين وعبادةُ الأصنام وصناعتُها وبناءُ المعابد لها,يكون أسْهلَ عليه أنْ يتصوّر عبادة**

النبيِّ لها قبل النبوّة, وذلك لأنهم ينظرون إلى النبيِّ نظرةً خاليةً من عقيدة العصمة المقترنة بالاصطفاء الإلهيِّ والوحْيِ الربانيِّ, ولو كانوا يؤمنون بالعصمة والاصطفاء الإلهيِّ للأنبياء ما جوّزوا **ليعقوب** ﷺ أنْ يصير نبياً بسرقة النبُوّة من أخيه والكذب على أبيه, ولو كان أجدادُهم يؤمنون بذلك أيضاً ما حقدوا على جبريلَ ﷺ وصرّحوا بالعداء له لنزوله بالوحْي والنبوّة على محمد ﷺ, كما ذكره الله تعالى عنهم في قوله سبحانه: **﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾**[البقرة: ٩٧ ٩٨].

المطلب الثاني
نماذج من عصمة نبيِّنا محمد ﷺ في حياته قبل النبُوَّة

أولاً: عِصْمَتُه ﷺ من انكشاف عَوْرَتِه وهو غلام لم يبلغ الحُلُم:

وقد حصل ذلك له قبْل البعثة النّبويّة لَمّا أجْمعَ القرشيّون على بناء الكعبة, فقد ذكر **الأزرقيُّ** أنّهم اجتمعوا لذلك ونقلوا الحجارةَ من الضّواحي, ورسولُ الله ﷺ يومئذٍ غلامٌ لم ينزلْ عليه الوحْيُ, فبينا هو ينقلُها معهم على رقبته **إذ انكشفتْ نَمِرَتُه** [ثَوْبُه], فَنُوديَ يا محمد: عورتك! فذلك أوّل ما نُوديَ واللهُ أعلم, فسقطَ على الأرض من الفزع حين نودي, فأخذَه عمُّه العباسُ فضمّه إليه, ثُمّ قام رسولُ الله ﷺ فشدَّ إزارَه وجعلَ ينقلُ معهم, فقال له عمُّه: لو جعلْتَ نَمِرَتَكَ على عاتقكَ تَقِيكَ الحجارةَ! فرفض ﷺ, وقال: ما أصابني هذا إلاّ من التّعرّي, **وإنّي نُهيتُ أنْ أتعرَّى**, فما رُئيتْ له عورةٌ بعدها ﷺ[٣٤].

وذكر **ابنُ هشام** قصّةً أخرى وجعلها تحت عنوان: "حديثُه ﷺ عنْ **عصمة الله له في طفولته**", وفي آخرها قولُه ﷺ: "ثُمّ جَعلتُ أَحملُ الحجارةَ على رقبتي وإزاري عَليَّ مِنْ بين أصحابي"[٣٥].

وروى **ابنُ سعد** عن ابن عباس قال: أوّل شيءٍ رأى النبيُّ ﷺ من النبوّة أنْ قيل له: **استترْ, وهو غلامٌ, فما رُئيتْ عورتُه من يومئذ**"[٣٦].

وروى **أبو نعيم الأصبهانيّ** بأربع روايات, قصةَ انكشافِ عَوْرَتِه قبْل البعثة وهو غلامٌ لم يبلغ الحُلُم, تحت عنوان ذِكْر ما خصّه الله ﷻ به من العصمة وحماه من التديّن بدين الجاهلية, وجعلَها من دلائل نبُوّته ﷺ, وقال: "وممّا عُظّمَ به ﷺ وحُرِسَ منه أنّه لا يتعرّى كفعلِ قومه وأهله, **حُفظَ من التّعرّي؛ فما فوقه أوْلى أنْ يُعصَمَ منْه, ويُنْهَى عنْه**"[٣٧].

كما ذكر **البيهقيُّ** حادثةَ انكشاف العورة بجميع الروايات السابقة, في باب **ما جاء في حِفْظ الله تعالى رسولَه ﷺ في شبيبته عن أقذار الجاهلية ومعايبِها**, وجعلَها من دلائل نبُوّته ﷺ[٣٨].

وروى **البخاريُّ** حديثَ انكشاف عورته ﷺ, قال ابن حجر: "وفيه أنّه ﷺ كان مصوناً عمّا يُستقبَح قبْل البعثة وبعدها"[٣٩].

وقال **النوويُّ**: "في هذا الحديث بيانُ بعض ما أكرَمَ اللهُ ﷻ رسولَه ﷺ, وأنّه ﷺ **كان مصوناً محْميّاً في صِغره عن القبائح وأخلاق الجاهليّة**"[٤٠].

وذكر **السهيليُّ** العنوانَ الآتي: **حِفْظُ الله رسولَه ﷺ في الصِّغر**, ثُمّ قال معلّقاً على الروايات السابقة: وحديثُ ابن إسحاق إنْ صحّ أنّه كان ذلك في صِغَره إذْ كان يلعبُ مع الغلمان؛ فحَمْلُه على أنّ هذا الأمرَ كان مرّتين: مَرّةً في حال صِغَره, ومَرّةً في أوّل اكتهاله عند بُنيان الكعبة"[٤١] أيْ عندما كان عمُرُه خمساً وثلاثين سنةً, وذلك قبل البعثة بخمس سنين.

وإذا كان اللهُ تعالى قد حَفظَ محمداً ﷺ في صِغره, فكان معصوماً من انكشاف عورته وهو غلامٌ لم يبلغْ مبلغَ الرِّجال, لم يتحدّثْ بَعْدُ؛ فلا شكَّ أنّه يكونُ معصوماً بعد بلوغه وتحدُّثه عمّا هو أشدّ, وبالإجماع: فإنّ المعصيةَ بأيِّ نوعٍ من أنواع الشِّرْك أعظمُ عند الله تعالى من المعصيةِ بانكشاف العورة, ومعصية الكهْل أعظمُ من

معصية الغلام، ومَنْ كان غلاماً معصوماً عن المعصيةِ بالصغيرةِ الأدْنَى؛ فهو مِنْ بابِ أَوْلَى معصومٌ عن المعصيةِ بالكبيرةِ الأعلَى في شبابه وكهولته.

ثانياً: عِصْمتُه ﷺ من سَمَرِ الشبابِ ومِنْ سماعِ المزامير:

روى الطبريُّ عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: ما هَمَمْتُ بشيءٍ ممّا كان أهْلُ الجاهلية يعملون به غيرَ مرّتين، كلُّ ذلك يحُولُ اللهُ بيْني وبين ما أُريدُ مِنْ ذلك، فإني قلتُ ليلةً لغلامٍ كان يرعى معي: لو أبصرْتَ لي غَنَمي حتى أَدخلَ مكةَ فأَسْمُرَ بها كما يَسْمُرُ الشبابُ! فخرجْتُ حتى إذا جئتُ أوّلَ دارٍ مِنْ دور مكةَ، سمعتُ عَزْفاً بالدُّفوفِ والمزاميرِ لعُرْسِ بعضهم، فجلسْتُ أَنظُرُ، فضُرِبَ على أُذُني فنمتُ، فما أيقظني إلاّ مَسُّ الشمس في المرتين، ثُمّ ما هَمَمْتُ بعدَها بسوءٍ حتى أكرمني اللهُ عزّ وجل برسالته"(٤٢).

فإذا كان اللهُ تعالى قد عَصَمَ محمداً ﷺ قبْلَ النُّبوّة من سماع المزامير ومِن سَمَرِ الشباب الذي طلبه وسعى إليه بحُكْمِ الطبيعةِ البَشَريّة، وتدخّلتْ إرادةُ الله وقدْرتُه في الوقت المناسب لصرْفه عن هذا الأمرِ الذي هو دون الشِّرْكِ بدرجات؛ فكيف يُظَنّ بالله سبحانه أنْ يتركَهُ يَعبُدُ الأصنام!؟

ثالثاً: عِصْمتُه ﷺ مِن المشاركة في طقوس الأوثان وأعيادها والحَلْفِ بها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "حدّثتني أمُّ أيمن قالت: **كان بُوانةُ صنماً** تَحضُرُه قريشٌ تُعظّمُه، تَنْسُكُ له النَّسائك، ويُحلّقون رؤوسَهم عنده، ويَعْكُفُون عنده يوماً إلى الليل، وذلك يوماً في السنة، وكان أبو طالب يحضره مع قومه، وكان يكلّمُ رسولَ الله ﷺ أنْ يَحضُرَ ذلك العيدَ مع قومه، فيأبى رسولُ الله ﷺ ذلك، حتى رأيتُ أبا طالب غضِبَ عليه، ورأيتُ عمّاته غَضِبْنَ عليه يومئذٍ أشدَّ الغَضَب، وجعلْن يقُلْنَ: إنّا لنخافُ عليك ممّا تصنعُ مِن اجتنابِ آلهتنا، وجعلْن يقُلْنَ: ما تريدُ يا محمدُ أنْ تَحضُرَ لقومك عيداً، ولا تكثّرَ لهم جَمْعاً، قالت: فلم يزالوا به حتى ذهبَ، فغابَ عنهم ما شاءَ اللهُ، ثُمّ رجعَ إلينا مَرْعوباً فَزِعاً، فقالتْ له عمّاتُه: ما دهاك؟ قال: إنّي أخشى أنْ يكون بي لَمَمٌ، فقُلْنَ: ما كان اللهُ ليبتليَك بالشيطانِ وفيكَ مِنْ خِصالِ الخيرِ ما فيك، فما الذي رأيتَ؟ قال: إنّي كلّما دنوتُ مِنْ صَنَمٍ منها تَمَثَّلَ لي رجُلٌ أبيضُ طويلٌ يَصيحُ بي: **وراءَكَ يا محمدُ لا تَمَسّهُ!** قالتْ: **فما عاد إلى عيدٍ لهم حتى تنبأ ﷺ**"(٤٣).

وذكرتْ كُتُبُ السِّيرة أنّ **بحيرا راهبَ بُصْرَى** قال لمحمدٍ ﷺ: يا غلامُ، أسألُكَ بحقِّ اللاّتِ والعُزّى إلاّ أخبرتني عمّا أسألُكَ عنه، فقال رسولُ الله ﷺ: **لا تسألْني باللاّتِ والعُزّى، فواللهِ ما أبْغَضْتُ شيئاً قطُّ بُغْضَهما!** فقال له **بحيرا**: فبالله إلاّ أخبرتني عمّا أسألُكَ عنه، قال: سَلْني عمّا بدا لك"(٤٤).

والظاهرُ أنّ **بحيرا** ما سألَ محمداً ﷺ باللاّتِ والعُزّى إلاّ اختباراً له، وتحقيقاً للصِّفَة المدوّنة عن النبيِّ المنتَظَرِ المبشَّرِ به في كتبِ أهلِ الكتابِ، **وأنّه لا يَعبُدُ الأصنامَ ولا يَحلفُ بها**، فكانتْ أجْلى علاماتِ نُبُوّته في صِغره أنّه يَكْرَهُ الأصنامَ ولا يَحلِفُ بها؛ فكيف يقال إنّه عَبَدَها أو قَرّبَ لها القرابين في شبابه وكُهولته!؟

وذكر **القاضي عياض** قولَه ﷺ: **لمّا نَشأْتُ بُغّضتْ إليَّ الأوثانُ**، وبُغِّضَ إليَّ الشِّعرُ ولَمْ أهمَّ بشيءٍ ممّا كانت الجاهليّةُ تفعلُه إلاّ مرّتين، فعصمني اللهُ منهما، ثُمّ لمْ أَعُدْ"(٤٥).

وروى **الأصبهانيُّ** أنّ محمداً ﷺ كان مع بَني عمِّه عند **صنمِ إساف**، فرفع بصَرَه إلى ظَهْرِ الكعبة ساعةً ثم انصرفَ، فقالوا له: مالَكَ يا محمد؟ قال: **نُهِيتُ أنْ أَقومَ عند هذا الصَّنم**"(٤٦).

وذكر **البيهقيُّ** حديثَ زيدِ بنِ حارثة رضي الله عنه قال: "كان صنمٌ مِنْ نُحاسٍ يقال له: **إساف أو نائلة**، يَتمسّحُ به المشركون إذا طافوا، فطافَ رسولُ الله ﷺ فطفْتُ معه، فلمّا مررْتُ مسحْتُ به، فقال رسولُ الله ﷺ: **لا تمسّه!** فطفْتُ فقلْتُ في نفسي لأَمَسَّنَّهُ حتى أَنظُرَ ما يكون، فمسَحْتُه، فقال رسولُ الله ﷺ: ألمْ تُنْهَ؟ قال زيد: **فوالذي**

هو أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنماً حتى أكرمه الله بالذي أكرمه وأنزل عليه"[٤٧].

وذكر ابنُ سعد حديثاً جرى بين خديجة رضي الله عنها وبين النبيِّ ﷺ قبل النبوّة، ورَدَ فيه قولُه ﷺ: "يا خديجة! والله ما أبغضتُ بُغضَ هذه الأصنام شيئاً قطُّ ولا الكُهّان"[٤٨].

رابعاً: عصمته ﷺ من موافقة بدعة الحُمْس الرافضين الوقوفَ بعرفة:

التحمُّس: التشدُّد، والحُمْس جمع أحْمَس، وهو المتشدِّدُ على نفسه في الدِّين[٤٩].

وسُمِّيت قريشٌ حُمْساً؛ لزعمهم بأنّهم متشدِّدون في الدين، وكانوا قد بالغوا في التزهُّد والتألُّه فقالوا: نحن بنو إبراهيم، وأهلُ الحَرم، وولاةُ البيت، وسكّانُ مكة، فليس لأحدٍ من العرب مثلُ حقِّنا ومنزلتنا؛ فلا تعظِّموا شيئاً من الحِلّ كما تُعظِّمون الحَرَم، ولا تخرجوا من أرض الحَرَم إلى أرض الحِلّ، فإنكم إنْ فعلتم ذلك استخفَّت العربُ بحُرْمتكم، فترك القرشيّون الوقوفَ على عرفة والإفاضة منها، وهم يعرفون ويُقرّون أنها من المشاعر التي لا يتمّ الحجُّ إلاّ بها كما ورثوها عن أبيهم إبراهيم ﷺ، وأما سائرُ العرب فيجب أنْ يقفوا بعرفات، وأنْ يفيضوا منها، ليُعْرَفَ الحُمْسُ أهلُ الحَرم منْ غيرهم، ثم جعل الحُمْسُ لمَنْ وُلِدَ من أبنائهم في أرض الحِلّ أو في أرض الحَرم مِثْلَ الذي لهم بولادتهم إيّاهم، يَحِلُّ لهم ما يَحِلُّ لهم، ويَحْرُمُ عليهم ما يَحْرُمُ عليهم، ثم ابتدعوا أموراً أخرى بخلاف شريعة إبراهيم عليه السلام، وبالغوا في الابتداع، فقالوا: لا ينبغي لأهل الحِلّ إذا جاؤوا حُجّاجاً أو عُمّاراً أنْ يأكلوا من طعامٍ جاؤوا به معهم من الحِلّ إلى الحَرم، ولا أنْ يطوفوا بالبيت إذا قدموا أوّلَ طوافهم إلاّ في ثياب الحُمْس، فإنْ لم يجدوا شيئاً من ثياب الحُمْس طافوا بالبيت عُراةً، وإذا طاف أحدٌ منهم بثيابه التي جاء بها من الحِلّ ألقاها بعد الفراغ من الطواف مباشرةً، ثم لم يَنتفع بها، ولم يَمَسّها هو ولا أحدٌ غيرُه أبداً، فكانت العربُ تسمِّي تلك الثيابَ: اللَّقى، أيْ المُلْقاة المطروحة المنسيّة، التي لا تؤخذُ ولا يُستفادُ منها، وحَمَلَ القرشيون سائرَ العرب على ما ابتدعوا فدانت العربُ بهذه البدعِ جميعها[٥٠].

قال ابن سعد: "والتحمّس: أشياء أحدثوها في دينهم تحمّسوا فيها، أي شدّدوا على أنفسهم فيها، فكانوا لا يخرجون من الحَرم إذا حجّوا، فقصّروا عن بلوغ الحقّ، والذي شَرَعَ اللهُ تبارك وتعالى لإبراهيم، وهو موقف عرفة، وهو من الحِلّ"[٥١].

وبقي القرشيون وسائرُ العربِ على هذه الأمور المبتدَعة حتى أبطلَ الإسلامُ ذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]، وقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣١-٣٢].

والمقصود بالناس: العرب، فحثّت الآياتُ الكريماتُ قريشاً على الوقوف بعرفة، وحثّتْ سائرَ العربِ على اتّخاذ الزينة باللباس، وعدم التعرّي أثناءَ الطواف، وأباحتْ الأكْلَ من طعامهم الذي قدموا به معهم من أرض الحِلّ إلى الحَرَم.

ونصَّ ابنُ الأثير على أنّ مسائلَ الحُمس مُستحدَثةٌ بعدَ حادثة الفيل؛ لأنّ العرب عظّموا قريشاً بعدَها، فبسبب هذا التعظيم استُحْدِثتْ مسألةُ الحُمْسِ كيْ لا يستخفَّ العربُ بقريش[٥٢].

ولكنّ هذا الاستحداثَ في حقيقته هو تغييرٌ كبيرٌ للحنيفية، قال الأزرقيّ: "فصار هذا كلُّه سُنّةً فيهم، وذلك من صُنْعِ إبليس وتزْيينه لهم ما يُلَبِّسُ عليهم من تغيير الحنيفية دين إبراهيم.. جاءهم إبليسُ فقال: إنّكم إنْ خرجتم من الحرم إلى الحِلّ زهدتْ العربُ في حَرَمكم، فخذّلهم عن ذلك"[٥٣].

وقد عَصَمَ اللهُ تعالى محمداً ﷺ أفعالَ الحُمْسِ المبْتَدَعة؛ فقد ذكر الأزرقيُّ أنّ النبيَّ ﷺ قبْل البعثة، وبعدَ البعثة قبْل الهجرة أيضاً، كان يقفُ مع الناس

بعرفة ولا يقفُ مع قريشٍ والحُمْس في طرف الحَرَم, وأنه ﷺ **كان يقف بعرفة سنيه كلّها**, وروى عن جبير ابن مطعم قوله: **أبصرتُ محمداً بعرفة, فقلتُ: هذا من الحُمْس! ما يُوقِفُه ها هنا؟! فعجِبْتُ له**"[٥٤].

وروى **البيهقيُّ** أيضاً أنّ جبير بن مطعم قال: "لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ **وهو على دِين قومه, وهو يقفُ على بعيرٍ له بعرفات مِنْ بين قومِه, حتى يَدْفَعَ معهم منها توفيقاً من الله له**", ثمّ علّق **البيهقيُّ** فقال: "**قلت: قوله على دِين قومه معناه: على ما كان قد بقِيَ فيهم مِنْ إرْث إبراهيم وإسماعيل في حَجِّهم ومناكحِهم وبيوعِهم دونَ الشِّرْك؛ فإنّه لم يُشْرِكْ بالله قط، وفيما ذكرناه مِنْ بُغضِه اللاتَ والعُزّى دليلٌ على ذلك**"[٥٥].

وقد جعل **السهيليُّ** حديثَه عن الحُمْس تحت العنوان الآتي: **وقوفُ النبيِّ ﷺ بعرفة قبْل الهجرة والنبوّة، ومخالفتُه للحُمْس**"[٥٦].

وفي رواية **ابن إسحاق** عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه قال: لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ **قبْلَ أنْ ينزل عليه الوحْيُ، وإنّه لَواقفٌ على بعيرٍ له بعرفات مع الناس مِنْ بين قومِه**, حتى يَدْفَعَ معهم منها توفيقاً من الله له"[٥٧].

فقوله: **مع** الناس؛ أيْ واقفٌ على عرفات مع سائر العرب غيْرِ الحُمْس، وقوله: **قبْلَ أنْ ينزل عليه الوحْيُ**؛ أيْ **قبل النُّبُوّة**، وقوله: **مِن** بين قومه؛ أيْ هو القرشيُّ الوحيدُ الذي كان واقفاً بعرفة، علماً أنه من قريشٍ الحُمْس.

فهذا التوفيقُ من الله تعالى لنبيِّه محمدٍ ﷺ قبْل البعثة؛ ليكونَ حَجُّهُ موافقاً للحنيفيّة التي جاء بها أبوه إبراهيمُ الخليلُ عليه السلام، فلا يفوته ثوابُ الوقوف بعرفة، ويكون اللهُ تعالى قد نجّاه قبْل النبوّة مِن متابعة قومه على بِدْعتهم، وعَصَمَه من الوقوع في معاصيهم بمخالفتهم مِلَّةَ أبيهم إبراهيم عليه السلام، وفيه أيضاً إرهاصٌ وإشارةٌ إلى أنّه ﷺ سيجيء بالحنيفيّة الإبراهيمية البريئة من البدع كلّها, والمخالفة لما شرَعه الأحْمَسيّون لأنفسهم, وأنّ دِينَه يكون مخالفاً لدِين قومه، وشرْعَه على غيرِ ما شرعوا لأنفسهم من الدِّين الذي لم يأذنْ به الله, ولهذا كان سيِّدُ الخَلْق وأكرَمُهم على الله تعالى محمدٌ بنُ عبد الله ﷺ إمامَ الحنفاءِ قبْل البعثة النبوية وبعدَها.

ولكنّ الله تعالى قد عَصَمَهُ من موافقة الحُمْس على بِدْعتهم المخالفة للحنيفيّة في هذه المسألة التي هي أقلُّ شأناً بكثيرٍ من مسألة موافقتهم في عبادة الأوثان؛ فمِنَ المقطوع به جَزْماً أنْ **يكون اللهُ تعالى قد عَصَمَهُ مِن كُلِّ ألوانِ الشِّرْك الذي هو أَكْبرُ الكبائر**, وأعظمُ معصيةٍ لله تعالى، وما جاءت الحنيفيّةُ إلاّ لهدْمِه وإبطالِ جميعِ مَظاهرِه.

خامساً: عِصْمتُه ﷺ من الأكْل من ذبائح الأوثان:

روى **البخاريُّ** عن سالم أنه سمع عبدَالله بنَ عمر رضي الله عنهما يحدِّث عن رسول الله ﷺ: **أنّه لقي زيدَ بنَ عمرو بنِ نُفَيْل بأسفل بَلْدَح**, وذاك قبل أنْ ينزل على رسول الله ﷺ الوحْيُ، فقدَّم إليه رسولُ الله ﷺ سُفْرَةَ لحمٍ, فأبى أنْ يأكل منها, ثم قال: إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلاّ ممّا ذُكر اسمُ الله عليه"[٥٨].

وعلّق **ابنُ حجر** على هذه الرواية فقال: "وقع للأكثر: فقدَّم إليه رسولُ الله ﷺ سُفْرةً, وللكشميهني: فقُدِّم إلى رسولِ الله ﷺ سُفْرةٌ, وجمع **ابنُ المنير** بين هذا الاختلاف بأنّ القوم الذين كانوا هناك قدَّموا السُّفْرَةَ للنبيِّ ﷺ فقدَّمها لزيد, فقال زيدٌ مخاطباً لأولئك القوم ما قال"[٥٩].

وقول **ابنِ المنير** هنا هو عينُ الصواب ويزيلُ الإشكالَ, كما تُزيله الروايةُ الأخرى عند **البخاري** عن سالم نفْسه عن ابنِ عمر رضي الله عنهما: **أنّ النبيَّ ﷺ لقي زيدَ بنَ عمرو بنِ نُفَيْل بأسفل بَلْدَح قبل أنْ ينزلَ على النبيِّ ﷺ الوحْيُ، فقُدِّمتْ إلى النبيِّ ﷺ سُفْرةٌ, فأبى أنْ يأكلَ منها**. ثم قال زيد: إنّي لستُ آكُلُ مما تَذبحونَ على أنصابكم، ولا آكُلُ إلاّ ما ذُكر اسمُ الله عليه، وأنَّ زيدَ بنَ عمرو كان يعيبُ على قريشٍ ذبائحَهم، ويقول: الشاةُ خلقها الله، وأنزل لها من السماءِ الماءَ، وأنبتَ لها من الأرض، ثم تذبحونها على غيرِ اسمِ الله!؟ إنكاراً لذلك وإعظاماً له"[٦٠].

فالذي يلاحظ قولَ سالم: **فقُدِّمتْ إلى النبيِّ ﷺ سُفْرَةٌ فأبى أنْ يأكلَ منها** ويلاحظ قولَ زيد: "**إنّي لستُ آكُلُ مما تَذبحون على أنصابكم، ولا آكُلُ إلاّ ما ذُكر اسمُ الله عليه**"؛ فإنّه يَفْهمُ منهما بوضوحٍ وبلا لبْسٍ أنّ الذي أَبَى أنْ يأكلَ من السُّفْرةِ هو النبيُّ ﷺ، وبَعْدَ إبائه جاءَ إباءُ زيد.

ويؤيِّدُ هذا الفهمَ قولُ ابن بطّال: "**كانت السُّفْرةُ لقريش، قدّموها للنبيِّ ﷺ فأبى أنْ يأكلَ منها، فقدّمها النبيُّ ﷺ لزيد بن عمرو فأبى أنْ يأكلَ منها**، وقال مخاطباً لقريش الذين قدّموها أوّلاً: إنّا لا نأكلُ ما ذُبِحَ على أنصابكم. . . قال **الخطّابي**: كان النبيُّ ﷺ لا يأكلُ ممّا يَذبحون عليها للأصنام، ويأكلُ ما عدا ذلك، وإنْ كانوا لا يَذْكرون اسمَ الله عليه؛ لأنّ الشرعَ لم يكنْ نزلَ بَعْدُ، بل لم يَنْزلِ الشرعُ بمنْعِ أكْلِ ما لم يُذْكَر اسمُ الله عليه إلاّ بعدَ المَبعث بمدّةٍ طويلة، وعلى تقدير أنْ يكونَ زيدُ بنُ حارثة ذَبَحَ على الحَجَر المذكور فإنّما يُحمَلُ على أنه إنما ذَبَحَ لغير الأصنام"[61].

وأمّا ابنُ الجوزيّ فاستدلّ بقول أبي الوفا عليِّ بن عقيل: "**كان رسولُ الله ﷺ دَيِّناً قبْل بَعثْه ونزول الوحْي عليه بما يصحُّ عنده أنّه من شريعة إبراهيم**"[62].

وأيّد **الذهبيُّ** هذا الرأي، فذكَرَ أنّ المصطفى ﷺ ما زالَ محفوظاً محروساً قبْلَ الوحْي وبعدَه، ولو احتملَ جوازُ ذلك فبالضرورة ندري أنّه كان يأكلُ من ذبائح قريش قبْل الوحْي، وكان ذلك على الإباحة، وإنما توصَفُ ذبائحُهم بالتحريم بعدَ نزول الآية، كما أنّ الخَمرةَ كانتْ على الإباحة إلى أنْ نزلَ تحريمُها بالمدينة بعدَ يوم أُحُد، **والذي لا ريبَ فيه أنّه ﷺ كان معصوماً قبْلَ الوحْي وبعدَه وقبْلَ التشريع من الزّنا قطعاً، ومن الخيانة، والغدر والكذب، والسُّكْر، والسُّجود لوثن، والاستقسام بالأزلام**، ومن الرّذائل، والسَّفَه، وبذَاء اللسان وكشْف العورة، فلم يكنْ يطوفُ عُرْياناً، ولا كان يقفُ يومَ عرفةَ معَ قومه بمزدلفة، بل كان يقفُ بعرفة، وبكلّ حالٍ لو بدا منه شيءٌ من ذلك لَمَا كان عليه تَبِعَةٌ؛ لأنّه كان لا يَعْرف، ولكنّ رُتْبةَ الكمال تأبى وقوعَ ذلك منه ﷺ[63].

وفي كلام ابن عاشور في قضية السُّفْرةِ والشاة في بلدح وردَ قولُه: "**وهذا توهم منه أنّ النبيَّ ﷺ يفعل كما تفعل قريش**"[64] أي توهّم زيدٌ أنّ النبيَّ ﷺ يرضى بما تفعله قريشٌ ويوافقُ فعلُه فعلَهم، فقَدّمَ إليه السّفْرَةَ ظانّاً أنه يأكلُ منها.

ثُمّ إنّه يَمتنعُ في العَقل أنْ يكونَ بعضُ القرشيّينَ قبْل البعثة ممتنعينَ عن أكْلِ ذبائحِ الأوثان ويأكلُها النبيُّ ﷺ، فقد ذكر ابنُ إسحاق وابنُ سعد وابنُ حبيب أنّ زيدَ بنَ عمرو بن نُفَيْل قدمَ الشامَ يطلبُ الدِّينَ، فسألَ اليهودَ والنصارى عن العلْم والدِّين، فقالت: تلتمسُ دينَ إبراهيم؛ **كان حنيفاً لا يعبدُ إلاّ الله، وكانَ لا يأكُلُ ما ذُبحَ على الأصنام**، فرجعَ زيدٌ إلى مكةَ وهو على دين إبراهيم، ففارقَ دينَ قومه؛ فاعتزلَ الأوثانَ والميتةَ والدّمَ والذبائحَ التي تُذبحُ على الأوثان[65].

ولا شكّ أنّ هذا كان بفضل الله تعالى وتوفيقه؛ فإنّ مَن يَبحثُ عن الدِّين الحقِّ يوفّقُه اللهُ تعالى لفعل أمورٍ تكونُ منَ الحقِّ إكراماً له، وأهلُ الأخبار مُجْمِعونَ على أنّ زيدَ بنَ عمرو توفّي قبْل البعثة، وأنه كان إذا دعاه قومُه إلى وليمة يقول: إنّي لستُ آكُلُ ممّا تَذبحونَ على أنصابكم، ولا آكُلُ إلاّ ممّا ذُكرَ اسمُ الله عليه, فكان لا يأكلُ لحومَ الحيوانات التي تُذبحُ للأصنام, ومثْلُه ورقةُ بنُ نوفل, كان أيضاً لا يأكُلُها, ويشاركُهُما في الامتناع عن أكْلها الأحنافُ الآخَرون الذين رفضوا عبادةَ الأصنام في الجاهليّة[66].

فإذا كان القرشيّان زيدُ بنُ عمرو وورقةُ بنُ نَوْفل والأحنافُ الآخَرون لا يعبدون الأصنام ولا يأكلون ممّا ذُبحَ لها، فكيف يُظَنُّ بسيّد الأحناف وإمامهم وأفضل قريشٍ أنْ يأكلَ منْ ذبائحها فضْلاً عن أنْ يعبدَها!؟

ولكن أُطور ّمُعْترِضٌ فقال: كيف وفّقَ اللهُ زيداً في الجاهليّة إلى ترْك أكْل ما ذُبحَ على النُّصُب وما لمْ يُذكر اسمُ الله عليه, ورسولُ الله ﷺ كان أَوْلى بهذه الفضيلة؟ فالجواب على اعتراضه ما ذكره **السهيليُّ** من وجهيْن[67]:

الأوّل: لأنّه ليس في الحديث حينَ لقيَهُ زيدٌ ببلْدحٍ فقُدِّمتْ إليه السُّفْرةُ أنّ رسولَ الله ﷺ أكلَ منها، وإنما في الحديث أنّ زيداً حين قُدِّمتْ إليه قال: لا آكُلُ ممّا لمْ يُذْكر اسمُ الله عليه.

والثاني: أنّ زيداً إنّما فعلَ ذلك برأيه لا بشرْعٍ مأمورٍ به، والأصوليون يقولون: الأشياءُ قبْل ورود الشّرْع على الإباحة، فإنْ قلنا إنّ رسولَ الله ﷺ كان يأكُلُ ممّا ذُبحَ على النُّصُب، فإنّما فعلَ أمراً مباحاً، إنْ كان لا يأكلُ منها فلا إشكالَ، وإنْ قلنا: إنّها ليستْ على الإباحة ولا على التحريم وهو الصحيحُ، فالذبائحُ خاصّةً لها أصْلٌ في تحليل الشّرْع المتقدِّم كالشاة والبعير ونحو ذلك ممّا أحلّهُ اللهُ تعالى في شَرْعِ مَنْ كان قبْلَنا، ولمْ يَقدحْ في ذلك التحليلِ المتقدِّم ما ابتدعه القرشيون حتى جاءَ الإسلامُ، فأنزلَ اللهُ سبحانه: ﴿لَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ألا ترى كيفَ بقيتْ ذبائحُ أهل الكتاب عندنا على أصْل التحليل بالشّرْع المتقدِّم! فكذلك كان ما ذبحَهُ أهلُ الأوثان مُحلّلاً بالشّرْع المتقدِّم حتى خصّهُ القرآنُ بالتّحريم.

المطلب الثالث
الأدلة العقلية على عصمة نبيّنا محمد ﷺ قبل النبوة

الدليل الأول: سيرةُ بعض الحنفاء المعاصرين له قبْل نبوّته:

ذكرَ ابنُ إسحاق وابنُ حبيبٍ أنّ زيدَ بنَ عَمْرو بن نُفَيْل فارَقَ دينَ قومِه؛ فاعتزلَ الأوثانَ، وقال: أعبُدُ ربَّ إبراهيم، ونادى قومَه بعيْب ما هُمْ عليه(٦٨).

وذكرَ أبو الفرج الأصبهانيّ أنّ ورقةَ بنَ نوفل هو أحَدُ مَن اعتزلَ عبادةَ الأوثان في الجاهليّة(٦٩).

فإذا كان الحنيفان المنتظِران للنُّبُوّة- ورقة وزيدٌ- قد اعتزلا الأوثانَ وعَبَدا ربَّ إبراهيم عليه السلام، فكيف يُظَنُّ أنْ يَعبُدَها المنتظَرُ الذي كان اللهُ تعالى قد أدّبه فأحْسَنَ تأديبَه، وصَنَعَه على عينه، وهيَّأهُ لأنْ يصيرَ صاحبَ النُّبُوّة ولتجديد المِلّة الحنيفية!؟

وقد ذكرَ المسعوديُّ أنّ كثيرين يذهبون إلى أنّ عليّاً رضي الله عنه لمْ يسجدْ لصنمٍ ولم يُشرِكْ بالله شيئاً قبْلَ إسلامه؛ لأنّه كان مُتّبِعاً للنبيّ ﷺ، ومقتدياً به في جميع أفعاله، وبلغ الحُلُمَ وهو على ذلك، فعصمه اللهُ تعالى وسدّده ووفّقه لتبَعيّته للنبيّ ﷺ. ويُفهَم من كلام المسعوديّ أنّه إذا كان التابعُ للنبيّ ﷺ قبْلَ نبوّته معصوماً من الشِّرْك؛ فمن باب أولى أنْ يكونَ المتبوعُ معصوماً من الشِّرْك أيضاً، إذْ لا يستقيمُ في العقل أنْ يُعْصَمَ التّبعُ ولا يُعْصَمَ المتبوعُ(٧٠).

الدليل الثاني: عدمُ احتجاج قومه المعاندين لدينه بسيرته قبل النبوّة:

إنّ القلوبَ تنفرُ عمّن كان الكُفْرُ سبيلَه قبْل النُّبُوّة، وقد رمتْ قريشٌ نبيَّنا ﷺ بكلّ ما افترتْه، وعيّرتْه بكلّ ما أمكنها اختلاقُه ممّا نصّ اللهُ تعالى عليه أو نقلَه إلينا الرّواةُ، **ولمْ نَجِدْ في شيءٍ من ذلك تعييراً له وذمّاً بتركه الآلهة والعبادات التي كان قد جامعَهم عليها قبْل نُبُوّته، ولو حصلَ له من ذلك الكفر شيءٌ يسيرٌ قبْل نُبُوّته لبادَروا إلى إظهاره، ولاحْتجّوا عليه بتلوّنه في معبوده، ولكان يكونُ احتجاجُهم عليه بالكُفْر أقطعَ لحُجّته؛ لأنّه إنما ينهاهم عمّا كان يوافقُهم عليه قبْل نُبُوّته**، فإطباقُهم على عدمِ الاحتجاج به مع أمسِّ الحاجةِ إليه، وإجماعُهم على الإعراض عن التَّعْيير والذّمِّ به في الوقت المناسب لهم مع توَفُّر دواعيهم له، هو أكبر دليل على أنهم لمْ يجِدُوا إليه سبيلاً، وأنهم لو كانوا قد وجدوه لنَقَلوه وما سكتوا عنه، ألم ترَ أنّهم لمْ يَسكتوا عن مسألة تحويل القِبلة ومَسائلَ غيرِها عيّروه بها، وهي أقلُّ شأناً من مسألة الكفر(٧١).

الدليل الثالث: مفهوم الميثاق المأخوذ على الأنبياء قبل خَلْقهم:

استدلّ القشيريُّ على عِصمته ﷺ قبل النُّبُوّة من كلِّ مظاهر الكفر بآيتيْن كريمتيْن، وهما: قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾[آل عمران: ٨١], وقوله تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ﴾**[الأحزاب: ٧], ويُفهم منهما أنّ الله تعالى قد طهّره في الميثاق, وبعيدٌ أن يجوزَ عليه الشركُ قبل النبوّة والحالُ أنّ الله تعالى قد أخذ منه الميثاقَ قبل خلقه, ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره قبل مولده بدهور, وهذا التجويز لا يقولُ به إلّا مُلحِدٌ(٧٢).

وسأل حنبلُ **الإمامَ أحمدَ** عمّن زعم أنّ النبيّ ﷺ كان على دين قومه قبل أنْ يُبعث, وأنه كان على دين الأوثان؟ فقال **أحمدُ**: هذا قول سوء, ينبغي لصاحب هذه المقالة أنْ يحذَرَ كلامَه, ولا يجالَس, فقال حنبل: إنّ جارَنا أبا العباس يقول هذه المقالة, فقال **أحمد: قاتله الله, أيَّ شيءٍ أبقى إذا زعم أنّ رسول الله ﷺ كان على دين قومه وهمْ يعبدون الأصنام؟ وقبْل أنْ يُبعث نبيُّنا ﷺ كان طاهراً مطهَّراً من الأوثان, أوَليس كان لا يأكلُ ما ذُبح على النُّصُب(٧٣)؟!**

وروى الإمامُ أحمدُ حديثَيْن للاستدلال بهما على عصمة نبيّنا ﷺ قبْلَ النبوّة, وهما:

الأول: حديث العِرْباض بن سارية السُّلمي رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "إنّي عند الله في أمّ الكتاب لَخاتمُ النبيّين وإنّ آدمَ لَمُنْجَدِلٌ في طينته"(٧٤).

والثاني: حديث ميسرة الفجر رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله متى كنتَ نبيّاً؟ وفي لفظ: متى جُعِلْتَ نبيّاً؟ قال: "وآدمُ عليه السلام بين الرُّوح والجسد"(٧٥).

وأيّدَ ابنُ رجب الحنبلي استدلال الإمام أحمد وعقّبَ عليه فقال: "وقد استدلّ الإمامُ أحمدُ بحديث **العِرْباض هذا على أنّ النبيَّ ﷺ لم يزَلْ على التوحيد منذ نشأ**, وردَّ بذلك على مَنْ زعم غيرَ ذلك, بل قد يُستدلّ بهذا الحديث على أنه ﷺ وُلِد نبيّاً؛ فإنّ نبوّته وجبتْ له من حين أُخِذَ الميثاق منه حيث استُخرِج من صُلْب آدم, فكان نبيّاً من حينئذ, لكنْ كانت مدّة خروجه إلى الدنيا متأخّرةً عن ذلك, وذلك لا يمنع كونه نبيّاً قبْل خروجه"(٧٦).

ولأجْل هذه المعاني اللطيفة قال **الدكتور رءوف شلبي**: "العصمةُ للنبيّ ﷺ مضمونةٌ له منذ حداثة سِنّه, إنّها له منذ تعلّقتْ إرادةُ الله جلّ شأنه في الأزل البعيد بأنْ سيكون محمدٌ ﷺ نبيّاً ورسولاً إلى العالمين"(٧٧).

إزالةُ إشكال: لابدّ هنا من إزالة إشكالٍ قد يَحصُلُ في فهْم قوله تعالى: **﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾**[الضحى: ٧], فبعدما ذكر **القاضي عياض** الأقوالَ الكثيرةَ في تفسيرها, أكّدَ على أنّ الضَّلالَ هنا ليس بمعنى الكُفْر, وإنما هو بمعنى **التَّحَيُّر**, ويؤيّده قولُه تعالى: **﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾**[الشورى: ٥٢], ولهذا كان ﷺ قبْل النبوّة يَخلُو بغار حراء في طلب ما يتوجّهُ به إلى ربِّه حتى أكرمه الله تعالى بالنُّبُوّة, فيكون المعنى: **ووجدكَ ضالًّا عن النبوّة فهداك إليها, ووجدكَ بين أهل الضلال فعصمَك من كفرهم وهداك للإيمان**, فلم يبْقَ في الآية إلّا أنّ الله تعالى امتنّ على رسوله بعصمته وتثبيته, فقد كان قبْلُ مؤمناً بتوحيده, وهذا في رأي عياض أحسنُ وجوهِه(٧٨).

وأكّدَ ابنُ عاشور هذا الوجهَ الحسنَ فقال: "فانتفاءُ درايته بالإيمان مِثْلُ انتفاء درايته بالكتاب, أيْ انتفاء العِلْم بحقائقه, ولذلك قال: **﴿مَا كُنتَ تَدْرِي﴾** ولمْ يَقُلْ: ما كنتَ مؤمناً, وكلا الاحتمالين لا يقتضي أنّ الرسولَ ﷺ لمْ يكن مؤمناً بوجود الله ووحدانيّة إلهيّته قبْلَ نزول الوحْي عليه؛ **فالأنبياءُ والرسلُ معصومون من الشِّرْك** قبْل النُّبُوّة, فهُمْ مُوحّدون لله ونابذون لعبادة الأصنام, ولكنّهم لا يَعْلَمون تفاصيلَ الإيمان, وكان نبيُّنا ﷺ في عهد جاهليّة قومه يَعلَمُ بُطْلانَ عبادة الأصنام, وكان قومُه يُشْرِكون مع الله غيرَه في الإلهيّة؛ فبُطلانُ إلهيّة الأصنام عنده تمحّضُه لإفراد الله بالإلهيّة لا محالة, وقد أخبر بذلك عن نفسه ﷺ فقال: "لمّا نَشَأْتُ - أيْ عَقَلْتُ - بُغّضتْ إليّ الأوثان, وبُغّض إليّ الشِّعْرُ, ولمْ أهمّ بشيءٍ ممّا كانت الجاهليّةُ تفعله إلاّ مرّتين, فعصمني الله منهما, ثُمّ لمْ

أَعْوَزَه على شدّة منازعة قريش إيّاه في أمْرِ التوحيد فإنهم لمْ يحاجّوه بأنّه كان يعبدُ الأصنامَ معهم, وفي هذه الآيةِ حُجّةٌ للقائلين بأنّ رسولَ الله ﷺ يكنْ متعبِّداً قبْل نُبُوَّته بشرْع"(٧٩).

الخاتمة:

وقد بيّنتُ فيها أهمَّ النتائج التي توصّلتُ إليها من هذا البحث, والتوصيات.

أمّا نتائج البحث: فقد تبيّن لنا من هذا البحث النتائج الآتية:

أوّلاً: أنّ لمعرفة المعنى اللغوي أهميةً كبرى في فَهْم العقيدة, وفي التفسير الصحيح للنصوص والأحداث، وخاصّة فيما يتعلّق منها بحياةِ نبيّنا وسيرته ﷺ قبْل النبوّةِ وبعدها.

ثانياً: كان محمدٌ ﷺ قبْلَ النبوّة يرى في نفسه صفةَ البَشَريّة وحْدَها كسائرِ قومه والناس الذين في المجتمع المكيّ, لكنّهُ كان في علْمِ الله بَشَراً رسولاً للعالمين, فتولّى اللهُ العليمُ هذا البَشَرَ الرّسولَ بحفظه وعنايته مُنْذُ طفولته تَهْيئَةً له للأمْرِ العظيم الذي ينتظرُهُ, وتصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور: ٤٨].

ثالثاً: كان الله تعالى يُربِّي محمداً ﷺ ويَصنعُهُ على عينه ويُعدُّه ليكونَ نبيّاً عالميّاً, لذلك لمْ نَجِدْ في القرآن الكريم كلِّه أنّه أفرَدَ لمحمدٍ ﷺ صفةَ البشريّة وحْدَها, وإنّما وجدْناه قد قَرَنَ بينَ صفةِ البَشَريّة وصفةِ الرّسالة والوحْي, كما في قوله ﷻ: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[الإسراء: ٩٣], وقوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] و[فصلت: ٦], فكان لشخصيّته ﷺ جانبان مُقْتَرِنان لا يُدْرَسُ أحدُهما دونَ الآخر, وهما البَشَريّةُ المُقْتَرِنَةُ بالوحْي والرّسالة, أو البَشَريّةُ المؤيَّدَةُ بالعِصْمة.

رابعاً: ظهر لنا منْ كُتُب السيرة النبوية وكُتُب دلائل النبوّة أنّ عنايةَ الله تعالى بالرّسول ﷺ قد حفِظَتْهُ منْ أُمور الجاهليّة في كلِّ مراحل حياته قبْل النبوّة إنّما هو لتهيئته للنبوّة وتكاليفها, فإنّ ربَّهُ قد أدَّبَهُ فأحْسَنَ تأديبه, فنشأ ﷺ مصنوعاً على عين الله, مَصوناً عنْ كُلِّ ما يُسيءُ إلى سُمعته وسيرة حياته قبْلَ البعثة النّبويّة, فلم يَجِد المُشركون مجالاً للطعنِ فيه والتنفيرِ منه ومن دعوته سوى الافتراء عليه.

خامساً: ثبت لنا أيضاً أنّ المنهجَ في دراسة شخصيّته ﷺ القائمَ على إغفالِ التربية الرّبانيّة والإعداد الإلهيّ له, والنظرِ إليه منَ الزاوية البَشَريّة فقط, إنّما هو منهجٌ لا تَسْلُكُهُ إلاّ العقولُ القاصرةُ عنْ إدراك التدبيرِ الإلهيّ لأنبيائه وصفْوة خَلْقه, وبخاصّة فيما يتعلّقُ بتربية النبيّ الذي أوْلاه الله تعالى أنْ يكونَ بشيراً ونذيراً للعالمين, ولنْ يؤدّيَ هذا المنهجُ إلاّ إلى الخطأ والمجازفة في إصدار الأحكام ؛ **فقد تضافرت الأدلةُ من جميع وجوهها على عصمته ﷺ قبْل النبوّة فيما هو دُونَ الكفر والشِّرْك**, فعِصمتُه منهما أَوْلى, ويؤيّدُ ذلك المعاني اللغويةُ والاصطلاحيةُ لكلمتيْ العصمة والدِّين, وسيرتُه ﷺ قبل نبوّته.

سادساً: الأدلّةُ العقليةُ التي استخرجها علماؤنا, كلّها مجمعةٌ على أنّ الله تعالى قد عصمه في جميع مراحلِ حياته المكيّة قبْل النبوّة من أقلّ أقذارِ الجاهلية وأدْناها, فضْلاً عن الكفر الذي هو أعلاها؛ فنشأ نبيُّنا ﷺ نشْأةً عَلَتْ فيها فطرتُه وصَفَتْ نفسُه وسَمَتْ روحُه, وصَحّ عَقْلُه, حتى صار أُنموذجاً رفيعاً وفريداً بين قومه في أخلاقه وفي بُعْده عن ارتكاب أدْنى ما تنْفُرُ منه العقول السليمة والطّباع المستقيمة, بتوفيق الله له إلى فِعْل الصواب دائماً, وهذا هو مفهوم العِصمة قبْل النبوّة.

سابعاً: إنّ نبيَّنا محمداً ﷺ معصومٌ قبْلَ بلوغه الحُلُمَ وفي شبابه وكهولته قبْلَ النّبوّة عن الكفر والشِّرْك بجميع ألوانه ومَظاهره وطقوسه القوليّة والعمليّة, وقد أجمعت الأمّةُ على عِصمته ﷺ ونزاهته عن مِثْل هذه الرّذيلة, وقرّر علماؤنا بالبراهينِ النقلية والعقلية والإجماع عِصْمَتَهُ ﷺ منْ جَرَيان الكفرِ على قلبه أو لسانه لا عَمْداً ولا سهْواً, واتّفقَ النّقْلُ على هذه العصمة, وصارَ مستنَدَنا في ذلك النّقْلُ والعقلُ والإجماعُ أنّه معصومٌ مِنْ ذلك مِنْ قَبْلِ ا[illegible] ومُعْتَصِمٌ

باختيارِه وكسبِه، وهذا هو الحقُّ؛ أيْ إنَّ عصمتَه ﷺ عن الكفرِ قَبْلَ النُّبوّةِ ثابتةٌ نَقْلاً وسماعاً، وعَقْلاً وإجماعاً.

ثامناً: ليس المرادُ بأنَّ محمداً ﷺ كان على دِينِ قومِه أنّه كان يعبدُ الأصنامَ، ولكنْ ههنا تفسيران محتملان:

التفسيرُ الأوّل: كان ﷺ على دِينِ قومِه؛ أيْ كان ﷺ على ما بقيَ فيهم مِنْ إرْثِ إبراهيمَ ﷺ مِنَ الحَجِّ، والوقوف بعرفة، والنِّكاح، والميراث، وغيرِ ذلك مِنْ أحكامِ الإيمان التي كانت في المِلّة الحنيفية.

التفسيرُ الثاني: كان ﷺ على دِينِ قومِه؛ أيْ كان ﷺ على عادتِهم وشأنِهم في الأخلاقِ الحميدة، كالنَّخوة، والكرمِ، وصِلةِ الرَّحِمِ، وإغاثةِ المَلْهوفِ، وإكرام الجارِ، وغيرِها مِنَ الأخلاقِ الفاضلة.

وكلُّ مَنْ يقولُ معنىً غيرَ ذلك فهو حاطِبُ ليلٍ لا يُميِّزُ الغثَّ مِنَ السَّمين، ولا يَعرفُ المعاني اللغويّةَ لكلمة دِين، وجاهلٌ بسيرةِ المعصومِ ﷺ، ومخالفٌ للأدلّةِ العقلية والنقليّة.

وأمّا التوصيات؛ فإنني أُوصي الباحثين والمؤلّفين المهتمّين بقضايا الدِّين والعقيدة بما يأتي:

١) أنْ يتعرّفوا على المعاني اللغوية والاصطلاحية للكلمات المتعلّقة بالدين والعقيدة التي تَرِدُ في كتاباتهم قبْل التدوين والطباعة.

٢) استشارةُ أهلِ الخِبْرة من العلماء المختصّين في اللغة والأديان قبْل إصدار الأحكام في المسائل الحساسة التي تكون خطراً على الدِّين والعقيدة؛ وقد تُحْدِثُ فتنةً ويأْثمُ صاحبُها.

٣) أنْ يكونَ الحديثُ عن المصطفى ﷺ وسيرتِه بالاستنادِ إلى الكتبِ العلْميةِ الموثّقةِ التي ألّفها علماؤنا الأعلام، وإذا اضطرَّ الباحثُ والمؤلّف إلى الأخذ عن كتب المستشرقين والمستغربين فيأخذ مع الحيطةِ والحذرِ الشديدِ، وعدمِ التسليمِ بكلِّ ما يُلْقَى فيها.

٤) أنْ يمتازَ أبناءُ المسلمين بالروح النقديّةِ في تعاملهم مع كلِّ ما يُكتَبُ، لأخْذِ الحقِّ والصوابِ، ونَبْذِ الخطأ والباطل؛ فالحِكْمةُ ضالّةُ المسلمِ المحبِّ للحقّ أنَّى كان، ولا غضاضةَ على المسْلمِ في الرجوع إلى الحقِّ إذا ظهر، فالحقُّ أحقُّ أنْ يُتّبَع.

٥) أنْ يقوم الباحثون المختصّون بمراجعة موسوعاتِ الأديان والعقائد؛ لتنقيحِها مِن الأخطاءِ العلْميةِ والمنهجية، وبخاصّة التي تتصل بالإسلام، وتخصيصًا التي يكتبها أبناءُ المسلمين؛ لئلاّ تُتَّخذَ حجةً علينا، فيستند إليها المستشرقون في تشويه سيرةِ نبيّنا ﷺ.

٦) أنْ يُسارعَ كاتبُ موسوعةِ الأديان إلى إبراءِ ذِمّتِه، فيعلن عن وقوع هذا الخطأ غيرِ المقصودِ في موسوعته، ويطبع موسوعته طبعةً جديدةً خاليةً مِن هذا الخطأ وغيره.

وصلَّى الله تعالى وسلَّم تسليماً كثيراً على النبيِّ الأمّيِّ محمدٍ، وعلى جميع آله الطيّبين الطاهرين، وأصحابه الخيّرين المرْضيّين، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

الهوامش:

---

(١) سامي أبو شقرا، **موسوعة الأديان**، بيروت، دار الاختصاص للنشر، ١٩٨٩م (ط١)، ج٣، ص٧٨٧.

(٢) انظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، بيروت، دار الرشاد الحديثة ودار صادر، د. ت، ج١٢، ص٤٠٣، مادّة: عصم. ومجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ/١٤١٥م)، **القاموس المحيط**، مصر، دار الجيل، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، ج٤، ص١٥٢، مادّة: عصم. ومحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت بعد ٦٦٦هـ/١٢٦٨م)، مختار الصحاح، بيروت، إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، ١٩٨٥م، ص١٨٣. مادّة: عصم.

(٣) انظر: أبو الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعريّ (ت ٣٢٤هـ/٩٣٦م)، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مكتبة

النهــضة المــصرية, ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م (ط٢), ج١, ص٣١٣ وص٣٢٧.

(٤) انظـر: علـي بـن محمـد الـشريف الجرجـاني (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م), **التعريفــات**, بيــروت, دار الكتــب العلميــة, ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م (ط١), ص١٥٠ وص٢٢٩.

(٥) أحمـد عطيـة الله, القـاموس الإسـلامي, القـاهرة, مكتبـة النهــضة المــصرية, ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م, ط١, ج٥, ص٣٩٩.

(٦) قحطـان عبـد الرحمن الدّوري, **أصـول الـدين الإسـلامي**, عمّان, دار الفكر, ١٤١٦هـ/١٩٩٦م (ط١), ص٢١٧.

(٧) الأشعري, **مقالات الإسلاميين**, ج١, ص٢٩٦.

(٨) عطية الله, القاموس الإسلامي, ج٥, ص٣٩٩ ٤٠٠.

(٩) انظر: الدّوري, **أصول الدين الإسلامي**, ص٢١٨.

(١٠) القاضـي أبـو الفضل عياض بن موسـى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م), **الـشفا بتعريـف حقـوق المـصطفى**, بيـروت, دار الكتـب العلميـة, ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م, ج٢, ص١٠٩ - ١١٠.

(١١)عبـد الـرحمن بـن أحمـد عـضُد الـدين الإيجـيّ (ت ٧٥٦هـ/١٣٥٥م), المواقــف, مـصر, طبعـة بـولاق, ١٣٣٦هـ, ص٣٦٦ وما بعدها.

(١٢) محمـد بـن أحمـد الـسفاريني (ت ١١٨٨هـ/١٧٧٤م), **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية**, دمشق، مؤسسة الخافقين، ١٤٠٢هـ/١٩٨٧م, ج٢، ص٣٠٤-٣٠٥.

(١٣) الحسن بن عبد المحسن أبو عذبة (ت بعد ١١٧٢هـ/ بعد ١٧٥٨م), **الروضـة البهيـة**, تحقيـق: عبد الرحمن عميـرة، بيـروت, عـالم الكتـب, ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م (ط١), ص٩٣ ٩٤ وص٩٧ باختصار.

(١٤) انظـر: ابـن منظـور, لـسان العـرب, ج١١, ص٦٣١, ج١٣, ص١٧١ والفيروز آبـادي, **القـاموس المحـيط**, ج٤, ص٥٣, وص٢٢٧. والرازي, مختـار الـصحاح, ص٩١, وص٢٦٤. مادة:دِين, ومادة: مِلَّة.

(١٥) محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م), الطبقـات الكبـرى, بيـروت, دار صـادر، د. ت, ج١, ص١٢١. وانظـر: أبـو بكـر أحمـد بـن الحسين البيهقـي (ت ٤٥٨هـ/م), دلائل النبـوّة ومعرفـة **أحوال صاحب الشريعة**, تعليق عبـدالمعطي قلعجـي, بيـروت, دار الكتـب العلميـة, ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م, ج٢, ص٣٠.

(١٦) الجرجاني, **التعريفات**, ص١٠٥.

(١٧) عطية الله, القاموس الإسلامي, ج٢, ص٤٢٣.

(١٨) انظـر: محمـد الطـاهر بـن عاشـور (ت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، **التحريـر والتنـوير المعـروف بتفـسير ابـن** عاشـور, بيروت، مؤسسة التـاريخ, ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م (ط١), ج١، ص٦٧٤, تفسير الآيـة ١٢٠ مـن سـورة البقـرة, ج٣، ص٤٦, تفسير الآيـة ١٩ مـن سـورة آل عمـران, ج٧, ص١٤٨, تفسير الآيـة ١٦١ مـن سـورة الأنعام بتصرّف.

(١٩) محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م)، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)، **فـتح البـاري شـرح صـحيح الإمـام البخـاري**, بإشراف الـشيخ عبـد العزيـز بـن بـاز, تـرقيم محمـد فـؤاد عبـد البـاقي, الريــاض، رئاســة إدارات البحــوث العلميــة, ١٣٧٩هـ, كتاب التفسير, باب رقم ١٠٩, ج٨, ص٧٣٣.

(٢٠) أبـو القاسم جـار الله محمـود بـن عمـر الزمخـشري (ت ٥٣٨هـ/١١٤٤م), **الكـشّاف عـن حقـائق التنزيـل المعروف بتفسير الزمخشري**, تهران, انتشارات آفتاب, د. ت, ج٤, ص٢٩٣.

(٢١) أبـو عبدالله محمـد بـن أحمـد الأنـصاري القرطبـي (ت ٦٧١هـ/١٢٧٣م), الجـامع لأحكـام القـرآن المعـروف **بتفـسير القرطبـي**, القـاهرة, دار الكاتـب العربـي, ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م (ط٣), م١٠, ج٢٠, ص٢٢٩.

(٢٢) ابن منظـور, لـسان العرب, ج٢, ص٢٠١مادّة إرْث, ج١٣, ص١٧١,مادّة دِين.

(٢٣) الفيروزآبـادي, **القـاموس المحـيط**, ج٤, ص٢٢٧, مـادّة دِيـن. وانظـر: ابـن سـعد, الطبقــات الكبــرى, ج١، ص١٢١, والبيهقي, دلائل النبوة, ج٢، ص٣٠.

(٢٤) انظـر: أبـو الفـرج عبـد الـرحمن بـن أحمـد بـن رجـب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ/١٣٩٣م), **لطـائف المعـارف فيمـا** لمواسـم العـام مـن الوظـائف, تحقيـق: محمـد سيّد, القاهرة, دار الفجر, ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م (ط١), ص١١٧ بالاختصار.

(٢٥) السفاريني, **لوامع الأنوار البهية**, ج٢، ص٣٠٤–٣٠٥.

(٢٦) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م), الوفا بأحوال المصطفى, صححه محمد زهري النجار, الرياض, المؤسسة السعيدية, د. ت, ج١, ص٢٢٨- ٢٢٩.

(٢٧) انظر: مانع الجهني, **الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**, الرياض, دار الندوة العالمية, ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م (ط٥), ص١٠٥٧- ١٠٥٨ بتصرف. ومحمد شفيق غربال, **الموسوعة العربية الميسرة**, بيروت, دار نهضة لبنان, ١٤٠١هـ/١٩٨١م, ج١, ص٨٣٩ بتصرف.

(٢٨) نفْس المرجعيْن السابقين وبتصرف. وانظر: محمد عبدا[?] دراز (ت ١٩٥٨م) : **الدين**, الكويت, دار القلم, ١٣٧١هـ/١٩٥٢م (ط١), ص٣٨.

(٢٩) انظر: دراز, **الدين**, ص٤٥ و٦٨- ٦٩, والجهني, **الموسوعة الميسّرة في الأديان**, ص١٠٥٧- ١٠٥٨ بتصرف. وغربال, **الموسوعة العربية الميسّرة**, ج١, ص٨٣٩ بتصرف.

(٣٠) لمزيد من التوسّع في مناقشة فكرة بشرية القرآن ودوافعها انظر: محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م), الوحي المحمدي, بيروت, المكتب الإسلامي, ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م (ط٩), ص٨٧- ١١٠. ومحمد البهي, **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**, بيروت, دار الفكر, ١٩٧٠م (ط٥), ص٢٢٥- ٢٣٣.

(٣١) انظر: محمد البهي, **الفكر الإسلامي الحديث**, ص٢٤٩ وص٢٨٠- ٢٨٣ بتصرف واختصار.

(٣٢) تشارلس وطس, **أضرار تعليم التوراة والإنجيل**, طُبع بالإنكليزية في لندن, وطُبعت الترجمة العربية في مصر, مطبعة الموسوعات, ١٣١٩هـ/١٩٠١م. انظر: رشيد رضا, الوحي المحمدي, ص٥١ وص٦٩.

(٣٣) انظر: غربال, **الموسوعة العربية الميسرة**, ج٢, ص١٢١٦.

(٣٤) انظر: أبو الوليد محمد بن عبد ا[?] بن أحمد الأزرقي (ت نحو٢٥٠هـ/ نحو٨٦٥م)، أخبار مكة وما جاء **فيها من الآثار**، تحقيق: علي عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية, ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م (ط١)، ج١, ص١٢٤- ١٣٣ بالاختصار.

(٣٥) عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ/٨٢٨م), **السيرة النبويّة**, تحقيق: مصطفى السقا وغيره، دار الكنوز الأدبية, د. ت, (ط٢)، ج١، ص١٨٣.

(٣٦) ابن سعد, الطبقات الكبرى, ج١، ص١٥٧.

(٣٧) أبو نعيم أحمد بن عبد ا[?] الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م), دلائل النبوة, تحقيق: محمد رواس قلعجي, حلب, المكتبة العربية, ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م, ج١, ص٢٤٠- ٢٤٣ بأرقام الأحاديث ١٣٢- ١٣٥. وهي موافقة لما في صحيحيْ البخاري ومسلم.

(٣٨) انظر: البيهقي, دلائل النبوة, ج٢، ص٣٠- ٣٣.

(٣٩) ابن حجر, فتح الباري, ج١, ص٤٧٥, كتاب الصلاة, باب٨باب كراهية التعرّي في الصلاة وغيرها, حيث رقم ٣٦٤. وفي ج٣, ص٤٣٩, كتاب الحج, باب ٤٢, باب فضل مكة وبنيانها, حديث رقم ١٥٨٢. وفي ج٧, ص١٤٥, كتاب مناقب الأنصار, باب ٢٥, باب بُنيان الكعبة, حديث رقم ٣٨٢٩.

(٤٠) مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ/٨٧٥م)، يحيى بن شرف النووي(ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، المنهاج **في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، الرياض, نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية, ١٩٨٠م, م٢, ج٤, ص٣٤- ٣٥, كتاب الحيض, باب ١٩, باب الاعتناء بحفظ العورة, وهو في النسخة المرقمة: ج١, ص ٢٦٨, حديث رقم ٣٤٠.

(٤١) عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت ٥٨١هـ/١١٨٥م)، الروض الأنف, ضبطه طه عبد الرؤوف، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م, ج١، ص٢٠٨.

(٤٢) انظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م)، **تاريخ الطبري**, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, القاهرة, دار المعارف, ج٢, ص٢٧٩. والقاضي عياض, الشفا **بتعريف حقوق المصطفى**, ج١, ص١٣٦. والبيهقي, دلائل النبوة, ج٢، ص٣٣. والحديث أخرجه ابن راهويه في مسنده وابن إسحاق

والبزار والبيهقي وأبو نعيم وابن عساكر كلهم عن علي ﷺ, وقال ابن حجر: إسناده حسن متصل, ورجاله ثقات, وقال السيوطي في الخصائص ٢١٩/١: وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٦/٨: رواه البزار ورجاله ثقات. انظر: الأصبهاني, دلائل النبوة, ج١, هامش ص٢٣٦, في التعليق على الحديث رقم ١٢٨.

(٤٣) انظر: ابن سعد, الطبقات الكبرى, ج١، ص١٥٨. والأصبهاني, دلائل النبوة, ج١، ص٢٣٧ الدلالة رقم١٢٩. وابن الجوزي, الوفا بأحوال المصطفى, ج١, ص٢٢٨. وبوانة: هضبة وراءَ ينبُع قريبة من ساحل البحر. انظر: ياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـ /١٢٢٨م), معجم البلدان, بيروت, دار إحياء التراث العربي, ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. ج١, ص٥٠٥. والحديث أخرجه ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر, وقال السيوطي في الخصائص ٢٢١/١: وفيه أبو بكر بن عبدالله العامري رمي بالوضْع. انظر: الأصبهاني, دلائل النبوة, ج١, هامش ص٢٣٧, في التعليق على الحديث رقم ١٢٩.

(٤٤) أخرجه الترمذي في جامعه في: ٥٠ كتاب المناقب ٣ باب ما جاء في بدْء نبوة النبيّ ﷺ الحديث رقم ٣٦٢٠, وقال: هذا حيث حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه. وقال البيهقي: فأمّا القصة فهي عند أهل المغازي مشهورة. انظر: البيهقي, دلائل النبوة, ج٢, ص٢٤ ٢٩ وص٣٥,. وابن هشام, **السيرة النبوية**, ج١، ص١٨٢ ١٨٣ و٢٠٤. وابن سعد, الطبقات الكبرى، ج١، ص١٥٤. وابن الجوزي, الوفا بأحوال المصطفى, ج١, ص٢٢٩. قال السيوطي: في الخصائص ٢٠٨/١: أخرجه البيهقي عن ابن إسحاق, وقال أيضاً في الخصائص ٢١١/١: أخرجه أبو نعيم عن الواقدي عن شيوخه, وقال ابن حجر في الإصابة ١٧٩/١: ذكره أبو نعيم في الدلائل عن الواقدي, وكذا هو في طبقات ابن سعد بإسناده, والواقدي متروك. لكنْ الرواية الأخرى في خبر الراهب بحيرا أخرج حديثها ابن أبي شيبة والترمذي برقم ٣٦٢٤, وحسّنه الحاكم, وصححه البيهقي, وأبو نعيم, والخرائطي في الهواتف عن أبي موسى الأشعريّ, وقال ابن حجر في الإصابة: ١٧٩/١: أخرجها الترمذي وغيره بإسنادٍ رجاله ثقات, وقال في الفتح ٣٤٥/١٠: أخرجها الترمذي بإسنادٍ قويّ. انظر: الأصبهاني, دلائل النبوة, ج١, هامش ص٢١٢ وص٢١٧ في التعليق على الحديثين رقم ١٠٨ و١٠٩. وورد اسْمُ الراهب في المصادر كما يلي: بَحِيرا, بَحِيرى, بَحِيراء, بُحَيْرا.

(٤٥) القاضي عياض, **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**, ج١, ص١٠٠.

(٤٦) قال في الخصائص ٢٢٢/١: أخرجه ابن عساكر. انظر: الأصبهاني, دلائل النبوة, ج١, هامش ص٢٣٨, في التعليق على الحديث رقم ١٣٠.

(٤٧) البيهقي, دلائل النبوة, ج٢, ص٣٤.

(٤٨) ابن سعد, الطبقات الكبرى, ج١، ص١٩٥.

(٤٩) ابن منظور, لسان العرب, مادة حمس, ج٦, ص٥٧ ٥٨.

(٥٠) انظر: محمد بن حبيب بن أميّة الهاشمي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٦٠م)، المحبّر، اعتنت بتصحيحه الدكتورة الآنسة إيلزة ليحتن شتيتر، حيدر آباد الدكن، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، ١٩٤٢م, ص١٨٠ ١٨١, وص٣١١ ٣١٩. ومحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م), **جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعرف بتفسير الطبري**، تعليق محمود شاكر، بيروت، دار إحياء التراث العربي, ٢٠٠١م (ط١), ج٢، ص٣٥١ ٣٥٥, تفسير الآية ١٩٩ من سورة البقرة: **﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾**. والبخاري, **صحيح البخاري**, كتاب التفسير, باب٣٥, باب: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس, وهو في فتح الباري, ج٨, ص١٨٦, حديث رقم٤٥٢٠. ومسلم, **صحيح مسلم**, كتاب الحج, باب٢١, باب في الوقوف وقوله **﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾**, ج٢, ص٨٩٣, حديث رقم١٢١٩. وابن هشام, السيرة النبويّة، ج١، ص ١٩٩, وص٢٠٢ ٢٠٦.

(٥١) ابن سعد,الطبقات الكبر ى, ج١، ص٧٢.

(٥٢) انظر: علي بن محمد بن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م), **الكامل في التاريخ**, بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٣م (ط٤), ج١، ص٢٦٦.

(٥٣) الأزرقي, أخبار مكة, ج١, ص١٤١, وج٢, ص١٨٨.

(٥٤) انظر: الأزرقي, أخبار مكة, ج١, ص١٥٠, وج٢, ص١٨٨. ومسلم, **صحيح مسلم**, كتاب الحج, باب ٢١, باب في الوقوف وقوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾**, ج٢, ص٨٩٤, رقم١٢٢٠.

(٥٥) البيهقي, دلائل النبوة, ج٢, ص٣٠، وص٣٧.

(٥٦) السهيلي, الروض الأنف, ج١، ص٢٣٤.

(٥٧) ابن هشام, **السيرة النبوية**, ج١, ص٢٠٤.

(٥٨) البخاري, **صحيح البخاري**, كتاب الذبائح والصيد, باب ١٦, باب ما ذبح على النصب والأصنام، حديث رقم ٥٤٩٩. وانظر: البيهقي, دلائل النبوة, ج٢, ص١٢٤+ ١٢٦. وبلدح: وادٍ خارج مكة من جهة الغرب في طريق التنعيم. انظر: الحموي, معجم البلدان, ج١, ص٤٨٠.

(٥٩) ابن حجر, فتح الباري، ج٩، ص٦٣٠شرح الحديث رقم ٥٤٩٩.

(٦٠) البخاري, **صحيح البخاري**, كتاب مناقب الأنصار، باب٢٤, باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، وهو في فتح الباري، ج٧، ص١٤٢، حديث رقم ٣٨٢٦. وانظر: البيهقي, دلائل النبوة, ج٢, ص١٢١+ ١٢٢.

(٦١) ابن حجر, فتح الباري، ج٧، ص١٤٣، في شرح الحديث رقم ٣٨٢٦.

(٦٢) ابن الجوزي, الوفا بأحوال المصطفى, ج١ص٢٢٩.

(٦٣) انظر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م), **سير أعلام النبلاء**, تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد, بيروت, مؤسسة الرسالة, ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م (ط٢), ج١, ص١٣١ بتصرف.

(٦٤) ابن عاشور, **التحرير والتنوير**, ج٣, ص١٢٤ في تفسير الآية ٦٨ من سورة آل عمران: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ﴾.

(٦٥) انظر: ابن هشام, **السيرة النبوية**, ج١، ص٢٢٤. وابن سعد, الطبقات الكبرى، ج٣، ص٣٧٩. وابن حبيب, المحبّر, ص١٧١+ ١٧٢. والبيهقي, دلائل النبوة, ج٢, ص١٢٢+ ١٢٤.

(٦٦) انظر: جواد علي، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**, بيروت وبغداد, دار العلم للملايين ومكتبة النهضة, ١٩٧٨م (ط٢)، ج٦, ص٤٧٤.

(٦٧) انظر: السهيلي, الروض الأنف، ج١، ص٢٥٦+ ٢٥٧.

(٦٨) انظر: ابن حبيب, المحبّر, ص١٧١+ ١٧٢. وابن هشام, **السيرة النبوية**, ج١، ص٢٢٤.

(٦٩) انظر: أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م)، الأغاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، مصور عن طبعة دار الكتب، ١٩٦٣م, ج٣، ص١١٩.

(٧٠) انظر: علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م), مروج الذهب, بيروت، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٨٩م, ج١, ص٥٦٩+ ٥٧٠.

(٧١) انظر: القاضي عياض, **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**, ج٢, ص١١٠ باختصار. وانظر: **تفسير القرطبي**, م٨, ج١٦, ص٥٦+ ٥٧ في تفسير قوله تعالى: **﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾**[الشورى: ٥٢].

(٧٢) انظر: القاضي عياض, **الشفا بتعريف حقوق** المصطفى, ج٢, ص١١٠ بتصرف.

(٧٣) انظر: ابن رجب, لطائف المعارف, ص١١٧ بالاختصار.

(٧٤) رواه الإمام أحمد في مسنده, ٤/١٢٧+ ١٢٨, انظر: أحمد عبد الرحمن البنا, **الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**, القاهرة, دار الشهاب, ج٢٠, ص١٨١, كتاب السيرة النبوية, باب ما جاء في بعض فضائله ﷺ. قال السخاوي في المقاصد الحسنة: أخرجه ابن حبان في صحيحه, زوائد ابن حبان رقم ٢٠٩٣ والحاكم وصححه ٦٠٠/٢, فقال: هذا حديث صحيح الإسناد. وقال الهيثمي: رواه أحمد بأسانيد, وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد, وقد وثقه ابن حبان, مجمع الزوائد ٢٢٣/٨, وعزاه ابن حجر في الفتح ٣٦٩/٧ إلى البخاري في التاريخ وقال: أخرجه أحمد وصححه ابنُ حبان والحاكم ٤١٨/٢. الأصبهاني, دلائل النبوة, ج١, هامش

ص٥٣ في التعليق على الحديث رقم٩. والبيهقي, دلائل النبوة, ج٢, هامش ص١٣٠.

(٧٥) رواه الإمام أحمد في مسنده, ٥٩/٥. انظر: أحمد البنا, الفتح الرباني, ج٢٠, ص١٨١, كتاب السيرة النبوية, باب ما جاء في بعض فضائله ﷺ. وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: "بين خلْقِ آدم ونفخ الروح فيه". وأخرجه الترمذي في: ٥٠ كتاب المناقب ١ باب في فضل النبيّ ﷺ, حديث رقم ٣٦٠١ قال الترمذي: حديث حسنٌ صحيح غريبٌ من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه, وفي الباب عن ميسرة الفجر. وقال السخاوي في المقاصد: وصححه الحاكم أيضاً. وانظر: الأصبهاني, دلائل النبوة, ج١, هامش ص٥٢ ٥٣ في التعليق على الحديث رقم٨. والبيهقي, دلائل النبوة, ج٢, هامش ص ١٢٩.

(٧٦) ابن رجب, لطائف المعارف, ص١١٧.

(٧٧) رؤوف شلبي, المجتمع العربي قبل الإسلام, بيروت, المكتبة العصرية, د. ت, ص٢٠٠.

(٧٨) انظر: القاضي عياض, **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**, ج٢, ص ١١٢, وص١١٣, وص١٢٩. بتصرف.

(٧٩) ابن عاشور, **التحرير والتنوير**, ج٢٥، ص٢٠٥ ٢٠٦.